للعبد العاجز احمد شاکر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. قال الشيخ الفقيه
الامام القاضي الاوحد ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض
اليحصبي رضي الله عنه الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك
الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا
ووهما الباطن تقدسا لا عدما. وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ
على اوليائه نعما عما. وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربا وعجما.
وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما. واوفرهم علما وفهما.
واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رافة ورحما. زكاه روحا
وجسما. وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما. وفتح به اعينا
عميا. وقلوبا غلفا واذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل
الله له في مغنم السعادة قسما. وكذب به وصدف عن اياته من كتب

الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليما.
اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين. ولطف لي
ولك بما لطف لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه.
واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة
عجايب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة. ووله عقولهم
في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره
فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته
وعجايب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل
عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون فانك كررت على السؤال في مجموع
يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلوة والسلام
وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم
ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان
اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه
بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك
امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني فيما كلفتني

مرتقاً صعباً ملأ قلبي رعباً فان الكلام في ذلك يستدعي
تقرير اصوله وتحرير فصوله والكشف عن غوامض ودقائق
من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف
اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة
والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية
وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل
تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض
تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني
لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب
بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي
لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدين الله تعالى به من حقه الذي
هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايماناً ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا ابو الوليد هشام
بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد
حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث حدثنا

حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد اخبرنا علي بن الحكم
عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من
نار يوم القيامة فبادرت الى نكت سافرة عن وجه الغرض
مؤدياً من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء
بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه الانسان من البلية
المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترده
بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان
خيراً لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غداً او يذم محله فليس
ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته
واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده
او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل
جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا
اليه زلفى ويحظينا بمنه وكرمه ورحمته ولما نويت تقريبه و
درجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله ترجمته
بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام
اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي

قولًا وفعلًا ونوجه الكلام فيه في اربعة ابواب **الباب الاول** في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول **الباب الثاني** في تكميله تعالى له المحاسن خلقًا وخلقًا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقًا وفيه سبعة وعشرون فصلًا **الباب الثالث** في ما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلًا **الباب الرابع** في ما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلاثون فصلًا **القسم الثاني** في ما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب **الباب الاول** في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول **الباب الثاني** في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول **الباب الثالث** في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول **الباب الرابع** في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول **القسم الثالث** فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم

[illegible marginal notes]

باب كل شيء خالصه ومنه اللب للعقل ولبيك اي اجابة خلاص والثمرة بمعنى الاصلي ويكون بمعنى الفائدة والنتيجة والغاية وهو مجاز مشهور والابواب المشار اليها جملة ابواب الكتاب والبعض الذي من الابواب بنا على انه كالقواعد لما بعده وما بعده كالامور المبنية عليه كالثمرة فاضافة اللباب بيانية كما قيل وبذه واستعارة مصرحة بتشبيه معقصودة بثمرة ذات لب وقيل انها مكنية وتخييلية بجعل الكتاب بمنزلة شجرة مثمرة تشبيها مضمرا في النفس واثبات الثمرة تخييل واضافته كذهب الاصل ورد بان القواعد تاباه ولا ذكر للكتاب ونحو الابواب لان الكتاب عبارة عن جملتها وقيل المراد بالثمرة ما يستفاد من غيره والمقصود كما ان غيره كالدليل عليه كان كالدليل والمراد ان ثمرة ان تعلمه والانتفاع لباب ثمرات شهاب رحمه الله

وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعد وعند التقصي لموعده والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين **الباب الاول** فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلًا **الباب الثاني** في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول **القسم الرابع** في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين **الباب الاول** في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول **الباب الثاني** في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته

[illegible marginal notes]

وكتبه وآل النبي عليه السلام وصحبه ولخصت الكلام
فيه في عشر فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الاقسام
والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم
درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي
صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين
وبالله تعالى لا اله سواه استعين **القسم الاول** في تعظيم
العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا **قال** الفقيه القاضي
ابو الفضل عياض رحمه الله تعالى لا خفا على من مارس
شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى
قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن
ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما
تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في
كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وآدابه
وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه **فكان** جل جلاله
هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك
واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا وله
الحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم

المذاهب جمع مذهب وهو الطريق ويطلق على ما اختير من الافعال وغيرها كما يقال مذهب الفقهاء
والمراد ما سلكه صلى الله عليه وسلم من احواله مع امته وفي نفسه وللناس فيما يعشقون مذاهب
وهو ماخوذ من الذهاب وهو الخروج الى المقام سواء وصل اليها ام لا ولذا اختلف الفقهاء فيما فيه بقوله
فقيل لا يشترط الوصول وقال الفقير يشترط لقوله تعالى اذهبا الى فرعون فانه بلغ ... شهاب

على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن
الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل
العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة و
الكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها من
ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة
ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ
قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد
الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى
البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن
محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا
اسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة
عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي
بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال
له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال
فارفض عرقا **الباب الاول** في ثناء الله تعالى عليه واظهار عظيم
قدره لديه **اعلم** ان في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل

وركوبه عليه السلام انما هو لبيت المقدس ثم ربطه في الصخرة ولم يصعد عليه الى فوق المعراج
من نور وقال الشيخ عز الدين ان مركبه عليه السلام الى بيت المقدس البراق ثم مركبه الثاني الى السماء
الدنيا المعراج ثم مركبه الثالث من سماء الدنيا الى السماء السابعة اجنحة الملائكة ثم مركبه الرابع
الى سدرة المنتهى جناح جبريل ثم مركبه الخامس الى الرفرف الاخضر من النور سد ما بين الخافقين شهاب
والمراد بالاعتماد على بعضها اقتصاره عليه وجعل ما عداه مقصودا بالذات وغيره بالتبع شهاب

ذكر المصطفى عليه السلام وعدّ محاسنه وتعظيم امره وتنويه
قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك
في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح
والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من
انفسكم الاية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من انفَسكم بفتح
الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي رحمه الله
اعلم الله تعالى المؤمنين والعرب واهل مكة وجميع الناس
على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم
رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون
صدقه وامانته ولا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة
لهم لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو
عند ابن عباس رضي الله عنه وغيره معنى قوله عز وجل
الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم
على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف
حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم و
رشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم

في دنياهم والاخرة وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم
قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤوف رحيم ومثله
في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله تعالى
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى من
انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن
ادم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله
عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا
مما كانت عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله عنه
في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي
حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز
خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون
الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم
في الصورة البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى
الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته وموافقته موافقته

فقال عز وجل من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال أبو بكر بن طاهر زين
الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان
كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق
فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل
مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله تعالى
يقول وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فكانت حياته
وموته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي
خير لكم وكما قال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله رحمة
بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال
السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والإنس وقيل لجميع
الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من
القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب وقال ابن عباس
رضي الله عنه هو رحمة للعالمين للمؤمنين والكافرين
إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة وحكي أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل أصابك
من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت

فأمنت لثناء الله تعالى علي بقوله عز وجل ذي قوة عند
ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وروي عن جعفر بن محمد الصادق
في قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك إنما وقعت
سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله
تعالى الله نور السموات والأرض الآية قال كعب وابن جبير المراد
بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى مثل نوره أي
نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى الله
هادي أهل السموات والأرض ثم قال مثل نوره محمد إذ كان مستودعا
في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة
صدره أي كأنه كوكب دري لما فيه من الإيمان والحكمة توقد
من شجرة مباركة أي من نور إبراهيم عليه السلام وضرب المثل
بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء أي تكاد نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا
الزيت وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله أعلم وقد سماه الله
تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال تعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا

وزوجي بالايمان اي التصديق الكامل المقرون؛ لعل الكلام عليه وعلى الاسلام ليس بذا محتوي بحلوله فيه وقبوله وقبوله واذعان حقيقته واتباع مقتضاه وهذا اخرجه عن ابن عباس رضي الله عنه ابن مردوية وابن المنذر من طريق عطاء وابن ابي حاتم عن عكرمة شهاب رحمه الله
في زمن الفترة بعد عيسى عليه السلام وتقلبها عدم رضاه بما هم عليه منها من الشرك وعبادة الاصنام والحروب والمفاتنة المخلوط النفث وغير ذلك مما استقبح لسلامة فطرته شهاب رحمه الله معنى قول بالرفع بدل من لحكمة قبله او خبر مبتدا مقدر بهو ويجوز نصبه بتقدير اعني وما بعده شهاب رحمه الله

حكمة

ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة
شرح المعنى وسّع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله
عنهما شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن
ملأه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك
الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل
ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية
وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك
حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة
وقيل اذا ذكرت ذكرت معي يعني قول لا اله الا الله محمد رسول الله
وقيل في الاذان والاقامة والتشهد قال الفقيه القاضي
رحمه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه عليه السلام على
عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان
شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل
الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه
لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط
عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل

ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا
والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا
يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى
ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني
جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي
قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا
جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد
الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى
ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى واطيعوا الله
والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف
المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام
حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما
اجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال حدثنا ابو داود السجزي
حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن

قال النووي والصواب ان سبب النهي ان الخطبة شانها الايضاح واجتناب الرمز ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثا ليفهم لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكتابة لانه ورد في مواضع منها قوله صلى الله عليه وسلم ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقال العلائي في كتاب الفصول المفيد في الجمع بين هذه الاحاديث وجوه منها ان هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه يعطي مقام الربوبية حقه ولا يتوهم فيه تسوية له بما عداه اصلا بخلاف غيره من الامة فانه مظنة التسوية عند الاطلاق والجمع في الضمائر بين وغيره فلذا الجمع بينهما فيما سواهما وغير ذلك ومن النبي عليه السلام الخطيب لا فراد دليلا يوهم كلام التسوية الوفد الذين قرب عهدهم بالاسلام ومثل قوله لا تقولوا ما شاء الله وشئت الخ ويعلم منه ما في كلام الفريق الاول ويرد عليه حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي علم فيه الامة ما يقولون عند حاجة فان فيه ومن يعصهما فيدل على عدم الخصوصية الا ان يقال يوجد فيه جمع الصحابيين انهم يقولون في خطبة الحاجة ومن يعص الله ورسوله ولا جمع فيهما وفيه نظر كما شهاب الحاجة اه

عن عبد الله بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي لاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابو سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة

لاشتراك

بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية روي انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة

معنى على القراءتين وتفسير الذي جاء بالتصديق محمد عليه السلام فالاخبار بادلك الخ على ظاهره لكنه كما قيل يلزم فيه تقدير موصول اي والذين
صدق به وهو ممنوع عند بعض النحاة وجوزه اخرون وقالوا انه لا يصح رواية ودراية اذ لا دليل عليه ولا دليل ومنه قوله تعالى وقولوا امنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم اي وما انزل اليكم وقد رجحت رضي الله عنه ممن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وارتضاه ابن مالك والمانعون يمنعون
تخريج الاية عليه ويقولون انها بتقدير قد ويقولون الذي بمعنى الجنس الذي لا يحتاج الى التقدير شهاب رحمه الله تعالى

الوثقى لا اله الا الله وقيل انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل شهادة
التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال نعمته محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الاية اكثر
المفسرون على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه
وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ وصدق
بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل
ابو بكر وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا من الاقوال
وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم

الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما تعلق
بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية
ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله
شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه
صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا

وابو عمرو مشهورة قال ابن الملقن في جوز بعضهم تركهما وعبد الله هذا هو ابو محمد وقيل عبد الرحمن القرشي السهمي الزاهد العابد الصحابي كان
بينه وبين ابيه في السن ثنتا عشرة سنة وامه ريطة بنت منبه وكان صلى الله عليه وسلم يقول نعم اهل البيت عبد الله وابو عبد الله وام عبد الله
اسلم عبد الله قبل ابيه وكان كثير العبادة والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى قيل انه اكثر رواية من ابي هريرة رضي الله عنه لانه كان يكتب وابو
هريرة لا يكتب كما وانما لم يشتهر روايته كابي هريرة لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وابو هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها من كل
وجهة وتفصيل ترجمته توفي بفلسطين وعمره ثنتان وسبعون سنة وعمرو ابوه اشهر من ان يذكر والعاصي يرسم بالياء وبدونها و
اثباتها اولى وقال ابن الصلاح كتبه بغير
فحالة الوصل بالياء وفي حالة الوقف
بحذفها ولا وجه لمن انكره فانه لغة
بعض العرب وهو ما فيه الالف واللام
بالنون التنفيا قبل اللام والتنوين و
وبها قرئ في السبعة الكبير المتعال
ونحوه والذي عن المنكرين الخاء حصوه
كما ذكره في باب الرسم شهاب رحمه الله

منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله
قال حدثنا ابو القاسم خاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي
حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا البخاري حدثنا محمد بشار حدثنا فليح حدثنا هلال
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي فقلت
اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا
للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما و
قلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار
وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق ولا
متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له
كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو

والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته و
الهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد
الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمى
بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغنى به بعد العيلة واجمع
بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة
وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي
حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته
في التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة
او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الايتين وقد قال تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكر الله منته
ان جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان
فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سبحانه
سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى
فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية

بهذه الاية وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اى عدلا
خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم
وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء
على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله
اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا
من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم
للانبياء صلوات الله عليهم ويزكيهم النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول
حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد
بن اسلم قدم صدق عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم
يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن
ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري
هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم

وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين
الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد عليه السلام حكاه عنه
السلمي · الفصل الثالث في ماورد في خطابه اياه مورد الملاطفة
والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال
ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك
الله · وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب
لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم · بقوله
لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام ·
لكن الله برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم
اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب ·
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ·
ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط
القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه
وسلم · معاتب بهذه الآية · وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا
فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال الفقيه القاضي رحمه الله

رحمه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام
الشريعة خلقه ان يتأدب بادب القرآن في قوله وفعله ·
ومعاطاته · ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية · وروضة
الآداب الدينية · والدنيوية · وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة
في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع
ويتبين · ويستثير ما فيها من الفوائد · وكيف ابتدأ
بالاكرام قبل العتب · وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان
ثم ذنب وقال تعالى · ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء عليهم
السلام · بعد الزلات · وعاتب نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم · قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء · ومحافظة
لشرائط المحبة · وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته ·
وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه · وخيف ان يركن اليه
ففي اثناء عتبه براءته · وفي طي تخويفه تأمينه · وكرامته ومثله
قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
الآية وقال علي رضي الله عنه · قال ابو جهل للنبي صلى الله
عليه وسلم · انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل

المستكن في خيف راجع
الى ما بواسطة العطف
وان يركن بدل منه او عطف
بيان فاعرف لمحرره

فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروى
ان النبى صلى الله عليه وسلم لما كذب به قومه حزن فجاءه
جبريل عليه السلام فقال له ما يحزنك فقال كذبنى قومى
فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الاية ففى
هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه
السلام والطافه فى القول بان قرر عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا و
اعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا
التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم
بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين
بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة
بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم
الشئ ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره ثم كان قبله ووعده
بالنصر بقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرأه
يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء
والكسائى لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك

على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأه بالتشديد فمعناه لا ينسبونك
الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه
عليه السلام وبره الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء
باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا
يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبى يا ايها
المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع فى قسمه تعالى بعظيم
قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اتفق
اهل التفسير فى هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة
محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها
فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك
وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس رضى الله عنه ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا
اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى
اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله تعالى
بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية
عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الايات اختلف
المفسرون فى معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكى انه روى

يعني انه منصوب بمحذوف اي اقرأ يس ... مخصوص ... شهاب

من النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر
منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه يس يا انسان اراد محمدا صلى الله
عليه وسلم وقال هو قسم وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن
ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله تعالى به قبل
ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين
ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه
صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء
فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم
تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط
مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق
قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في
كتابه الا له صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده على
تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد

الفخر ادعاء العظمة والشرف والاعلان بذكره اي لا اقوله متبجحا ولا افتخارا بل تحدثا بنعم الله وشكرا له كما قاله ابن الاثير وقال ابن قرقول
اي لا فخر في الدنيا عندي اي لا اتعظم ولا اتكبر بذلك فيها وان كان الفخر الاكبر في الدنيا والاخرة وفي هذا الحديث وايات منها انا سيد ولد
آدم يوم القيمة كما رواه مسلم والترمذي قال التجاني فيه اشارة الى احتياج جميع الخلائق له صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم من منازع كما
في الدنيا وهو كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم وفيه بشارة ودلالة على جواز مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعم الله تعالى وقد قيل انه وجب
عليه صلى الله عليه وسلم تبليغ امته ما يجب في حقه ولذا قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وهذا لا ينافي في سيادته عليه السلام على الملائكة وما
سوى الله وقوله ولا فخر احتراز عما يتوهم من الكبر شهاب الخفاجي

انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل
بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه
مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال وحل لك
ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة
وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك
فيه حيا او ببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة
مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا
في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله عز
وجل بمقامه فيها وكونه بها فان كونه صلى الله عليه وسلم امان
حيث كان ثم قال تعالى ووالد وما ولد من قال اراد آدم
عليه السلام فهو عام ومن قال هو ابراهيم عليه السلام وما ولده فهي
ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة
القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
قال ابن عباس رضي الله عنه هذه الحروف اقسام اقسم الله تعالى
بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري
الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام
وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله

يعني هو المراد منه ذو بو عمران قوله وما ولده عند هذا القائل ابو عمران جواني كما نقله قريبا والمسر وقيل هم
العرب وقيل اولاد ابراهيم عليهم الصلوة والسلام لانهم يكون منهم والكونه غير معين من النظر الطلق
عليه الاشارة لخفائه والمشهور اطلاق الاشارة على ما يدل عليه باللفظ ولذا لم تراعيه كالاشارة النطقية ونحوه
ان شاء الله قيل انه للتبرك لا لاهتمام بما بعده وهو تاديب في الحكم بانه مراد شهاب رحمه الله تعالى عليه

معناه الله تعالى انزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
بهذا القران الذي لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم
ان هذا القران حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران
اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق
والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم الله عز وجل وقيل جبل محيط
بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد الصادق في
تفسير والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد
صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع
عن غير الله تعالى وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر
الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان الفصل
الخامس في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده صلى الله
عليه وسلم قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف
في سبب نزول هذه السورة فقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
ترك قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل
بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة فقال

بالنصب على انه مفعول تضمنت وفي نسخة بستة وجوه وكان الاوجه ان يقول ستة اوجه لانه اوقع جمع الكثرة في موضع القلة توسعا وقد يكثر استعمال احدهما في الآخر على قاري اي على حذف مضاف يكون هو المقسم به وذلك لانه لا يقسم بمخلوق لان فيه تعظيم غير الله ولذا
قال صلى الله عليه وسلم من حلف بغير الله فقد اشرك ولا يخفى ان النهي في ذلك بالنسبة الى المخلوق واما الخالق سبحانه فيقسم بما شاء من مخلوقه
تشريفا له وتعظيما شأنه على قاري

قال الفقيه القاضي رحمه الله تضمنت هذه السورة من
كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول
القسم له عما اخبره به من حاله بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى
اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته
عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك
وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله
تعالى وللآخرة خير لك من الاولى وقال ابن اسحق اي مآلك في
مرجعك عند الله تعالى اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال
سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما
اعطيتك في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات
الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا
والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض
آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية في القران ارجى منها
ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته
النار الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية
السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير

ولا مال له فاغناه الله بما اتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة
والغنى ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه وقد قيل اواه الى الله
وقيل يتيما لا مثال لك فاوالك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى
بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن
وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه
وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه و
اصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه
بنشرها واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من
شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته عليه السلام
وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله تعالى لقد رأى من ايات ربه
الكبرى اختلف المفسرون فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله
عليه وسلم وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل
فى قوله تعالى والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم
الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد عليه السلام حكاه السلمى تضمنت
هذه الايات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم
جل جلاله على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما

فيما تلى وانه وحى يوحى اوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه السلام
وهو الشديد القوى ثم اخبر الله تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء
وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى
من ايات ربه الكبرى وقد نبه تعالى على مثل هذا فى اول سورة
الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده
من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل ادناه
العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال
فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل
النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز
وقال لقد رأى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما
اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضى
رحمه الله واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته
عليه السلام وعصمتها من الافات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه
بقوله وما ينطق وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى
ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما
طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول
شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم انه لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله

ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من
ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي
قال جعفر بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم
فجميع الاوصاف بعد تعود على هذا لى قال غيره هو جبريل عليه السلام
فترجع الاوصاف اليه ولقد راه يعني محمدا قيل راى ربه وقيل
راى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي متهم ومن
قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء والتذكير بحكمه وبعلمه
وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم
الايات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى
الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط
امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية
المبرة في المخاطبة واعلى درجات الادب في المحاورة ثم اعلمه بما له
عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن به
عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من
هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال
وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم
وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى الله عليه بحسن قبوله

لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله
على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي
يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغزر
نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به
من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الايات
ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد
معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه فلا تطع المكذبين
الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصدق بتمام
شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت
نصرة الله تعالى له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه
ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده صلى الله عليه وسلم وعلى آله

بقوله

الفصل السادس في ما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام

قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران
لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله وقيل
معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان
قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء

كأنه يعني الارض اي امسها على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك
القران لتشقى نزلت الاية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد
الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ
قال حدثنا ابو محمد الحموي قال حدثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي
قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن
الربيع عن انس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه
يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا خفاء
بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من
اسمائه عليه السلام كما قيل وجعلت قسما لحق الفضل بما قبله
ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع
نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل
نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله تعالى ايضا
لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل

ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر
السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال
مكي سلاه الله بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه
ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن
هذا قوله كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبر به عن الامم السالفة
ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثلهم من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم
طيب نفسه وابان عذره بقوله فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت
بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث
نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى
الفصل السابع فيما اخبره الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته قوله تعالى

واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى
قوله من الشاهدين قوله تعالى قال ابو الحسن القابسي
استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته
غيره اباه بر وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون اخذ الله
الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم
ونعته واخذ عليه ميثاقا ان ادركه ليؤمنن به وقيل
ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله
تعالى ثم جاءكم رسول الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد
عليه السلام قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا
من آدم عليه السلام فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى
الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ
العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي
تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا وشهيدا روي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى
الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ

لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا
اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسولا قال قتادة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث فلذلك
وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا
تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم
وهو اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم
كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية
قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا
صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت
له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء صلوات
الله عليهم وسلامه اعطي فضيلة او كرامة الا واعطي محمد
صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى
خاطب الانبياء عليهم السلام باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة
في كتابه فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن
الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اي ان الهاء عائدة
على محمد صلى الله عليه وسلم اي ان من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم

لابراهيم اى على دينه ومنهاجه ولجازه القراء وحكاه عند مكى
وقيل المراد نوح عليه السلام الفصل الثامن في اعلام الله تعالى
خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفع العذاب بسببه قال الله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت بمكة فلما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله تعالى
لو تزيلوا الاية وقوله عز وجل ولولا رجال مؤمنون الاية فلما
هاجر المؤمنون نزلت وما لهم ان لا يعذبهم الله وهذا من ابين
ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرابه العذاب عن اهل مكة
بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة
منهم عذبهم الله بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم
سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تأويل
آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمة الله تعالى عليه حدثنا
ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين بن الصيرفي حدثنا ابو
يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن المروزي
ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابن نمير عن اسماعيل
ابن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة عن ابي موسى

مهاجر

ابى بردة بن ابى موسى

موسى عن ابيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انزل الله تعالى علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع
وقيل من الاختلاف والفتن وقال بعضهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية
فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال
الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية ابان الله
فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة
ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى
ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تأول قوله عليه السلام وجعلت
قرة عيني في الصلاة على هذا اى في صلاة الله علي وملائكته
وامره الامة بذلك الى يوم القيامة والصلاة من الملائكة
استغفار ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل صلى يباركون
وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه
بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه

صلى الله عليه وسلم. وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف
كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله لنبيه صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال
ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده له قال ويؤيدك
بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد
صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال
الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية مولاه
وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل
ابو بكر وعمر وقيل علي رضي الله عنهم اجمعين وقيل المؤمنون
على ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته
عليه السلام قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله
فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم
منزلته عند الله ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه
فابتداء جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره
وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ
بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع
اي انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده

المبين

من عنده

من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال
ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر عليك وقيل بفتح مكة
والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه
بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه
واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة
والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة
والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم وفوزهم العظيم
والعفو والستر لذنوبهم وهلاك عدوهم في الدنيا والاخرة
ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصايصه من
شهادته على امته لنفسه بتبليغ الرسالة وقيل شاهدا لهم بالتوحيد
ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب
وقيل محذرا من الضلالة لتؤمن بالله ثم بي من سبقت لهم من الله
الحسنى وتعزروه اي تجلوه وقيل تنصروه وقيل تبالغوا في تعظيمه
وتوقروه اي تعظموه وقرأه بعضهم وتعززوه بزايين من العزة
والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم
قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي

ويعفو

صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين
وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام
النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي اعلام الولاية
فالمغفرة تنزيه من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية
وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه
ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود
والاحمر واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد
ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني
التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة
الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم
يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل
عهده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم
اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا
قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة
لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله

ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة
البشر تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه
وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى
انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم
وما رميت انت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى
فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم **الفصل العاشر** فيما
اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده
وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك
ما نصه الله تعالى في قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم
وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدة
ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله
تعالى والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه
في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا في امره
والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه
في الغار وما ظهر لهم في ذلك من الايات ونزول السكينة

في الغار

عليه وقصة ابن مالك حسبما ذكره اهل الحديث والسير وقصة
الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر علمه الله تعالى بما انعم
به الكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل
الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك
هو الابتر اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل
والمفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال
الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران
والقران العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي
وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبأ القران
العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة اي في
كل صلوة وقيل بل الله تعالى استثناها لمحمد صلى الله عليه
وسلم وادخرها له دون الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
وسمي القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني
اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة

والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال تعالى وانزلنا
اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
الاية قال الفقيه القاضي رح فهذه من خصايصه وقال الله
تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم
بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال
عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى
بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم
كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي
النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم
نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج
في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف
وقال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل
فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي
انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلوات الله عليهم
وسلامه الباب الثاني في تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه

جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب
لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال
الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته (الجمال خ)
الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله
ويقرب الى الله تعالى زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص
لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري
المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في
جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه
وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته
وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه
ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالا
بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك
طريقها وكانت على حدود الضرورة وقواعد الشريعة واما (وقوانين خ)
المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية
من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد
والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء

والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة
وحسن الاداب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها
حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة
واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها
ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما
سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية
اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل
باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها
وتفضيلها فصل قال الفقيه القاضي رحمه الله اذا كانت خصال
الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة
منها او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال
او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره
وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب
اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك
بعظيم قدر من اجتمعت كل هذه الخصال الى ما لا يأخذه عد
ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير
المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا

والاسرا والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة
والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة
بالانبيا صلوات الله وسلامه اجمعين والشهادة بين
الانبياء والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثمة والامانة
والهداية ورحمة للعالمين واعطا الرضا والسؤل والكوثر
وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر وشرح الصدر
ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة و
والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني
والقران العظيم وتزكية الامة والدعا الى الله تعالى وصلوة
الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال
عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء
الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل و
انشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب
والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام
والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا

مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الا
الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون
ادراكها الوهم **فصل** ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة
انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا و
اكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال
الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه
عليه السلام تفصيلا **فاعلم** نور الله قلبي وقلبك وضاعف
في حب هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حبي وحبك
انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي
جبلة الخلقة وجدته صلى الله عليه وسلم حائزا لجميعها محيطا
بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك
بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع **اما** الصورة وجمالها وتناسب
اعضائه في حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة
بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب [والبراء]
وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن
سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل

والعدّاء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم [والعدّاء]
رضي الله عنهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون
ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج
مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء
البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام
عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين
والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة
ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد
ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله
عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق
وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس [رُئِيَ ثُرِيَ]
عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال
البراء رضي الله عنه ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه
ما رايت شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري [احسن]
في وجهه اذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي
وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل

مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا
وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد
واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من
رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله
ولا بعده مثله والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها
وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب ان شاء الله تعالى
وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه
هنالك ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب
ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان
قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها
بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة
حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا
ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس رضي الله عنه
قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح

رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه
وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها
من جونة عطار وقال غيره مسها بطيب ولم يمسها بمصافحة المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين
الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس
فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها من عرقه فسألها صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب
وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه
سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه رضي الله عنه ان تلك كانت
رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى الحربي المزني عن جابر رضي
اردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة
بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره و
شمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت
الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة
صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا
خبرا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم

وسلم انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال
يا عائشة اوما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا
يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم
من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله عليه وسلم
وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ
في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق
المالكي في كتاب البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على
مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه
وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله
عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من
الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا وقال وسطعت منه
ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين
قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان
دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك
له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم
حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك
ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه عليه السلام في امرأة

شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابداً ولم يامر
واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة
التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلماً والبخاري تخرجه
في الصحيح واسم هذه المرأة بركة واختلف في نسبها وقيل
هي ام ايمن رضي الله عنها وكانت تخدم النبي صلى الله عليه
وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من
عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة
ثم افتقده فلم يجد فيه شيئاً فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا
عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد مختوناً مقطوع السرة
وقد روى عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفاً ما به قذر
وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم
لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث
عكرمة عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط
فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم
محفوظاً فصل واما وفور عقله وذكائه وقوة حواسه

حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا
مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة والخاصة مع عجيب شمائله
وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم
سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في
رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى
تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين
كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان
الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل
في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال
الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله
تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام اني
لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس رضي الله عنه في الصحيحين
وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله اياها
في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الى

الى من بين يدي. وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من
بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشة رضي الله عنها كان
النبي صلى الله عليه وسلم. يرى في الظلمة كما يرى في الضوء
والاخبار كثيرة صحيحة. في رويته صلى الله عليه وسلم للملائكة
والشياطين. ورفع النجاشي له حتى صلى عليه. وبيت المقدس
حين وصفه لقريش. والكعبة حين بنى مسجده وقد حكى عنه انه
كان يرى في الثريا احد عشر نجما. وهذه كلها محمولة على روية
العين. وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها
الى العلم والظواهر تخالفه. ولا احالة في ذلك وهي من خواص
الانبياء. وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل.
من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني ثنا ام القاسم بنت
ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني.
ثنا محمد بن محمد بن سعيد. ثنا ابن احمد بن سليمان. ثنا محمد بن
محمد بن مرزوق. ثنا همام اخبرنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن
وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال لما تجلى
الله تعالى لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة
الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا

عشرة

نبينا صلى الله عليه وسلم. بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء
والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه
صلى الله عليه وسلم. صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه
الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا
وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم. وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم. في مشيه كان الارض تطوى
له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان
تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط
من صبب فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان
صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا
يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ
وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص
ببدائع الحكم وعلم السنة العرب ومعاني العجم فكان يخاطب كل امة
بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان
كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله
من تامل حديثه وسيره على ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش

علم

والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمدا
ني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس
ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك
اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها
تاكلون علافها وترعون عفاها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا
بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها
وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك لهم في المال والولد
من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد
ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع
الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس
دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد
والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال
العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة

لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس
ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم
ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله
وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه
لانس رضي الله عنه في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء
على هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ
استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس
بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله عليه السلام في حديث
العامري حين ساله فقال النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي
سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
صلى الله عليه وسلم المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد
الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب
ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ
دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس
كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك

ما ترى له والناس معادن وما هلك امرئ عرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم
او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين
وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا
الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان
يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله
اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الامور اوسطها وقوله احبب حبيبك هونا
ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة
وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة تهدي بها قلبي
وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها
شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي
وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء ونزل
الشهدا وعيش السعدا والنصر على الاعدا الى ما روته الكافة
عن الكافة من مقاماته صلى الله عليه وسلم ومحاضراته وخطبه

وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل
من ذلك مرتبة مرقبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر
قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ
في قالبه عليها كقوله الآن حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا
يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها مما يدرك
الناظر العجب في مضمنها ويذهب الفكر في ادنى حكمها وقد قال
له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما
انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش
ونشأت في بني سعد فجمع له صلى الله عليه وسلم بذلك قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى
التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت
ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن
منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله
عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشأه فمما لا
يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى
الله عليه وسلم نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب
واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله

على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي
رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف ثنا ابو ذر عبد بن
احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم ثنا محمد بن
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب
بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم
قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله
عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق فجعلني
من خيرهم من خير قرونهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة
ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا وعن واثلة بن الاسقع انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من
ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش
بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث
صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنه رواه الطبري انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني
آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار

فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار بني هاشم ثم اختار
بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل
ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب
آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابراهيم ثم
لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة
حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة
هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور
فصل واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى
ثلاثة اضرب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته
وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا
وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب
والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب
دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا

والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب
للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل
على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل
وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته
وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة و
ينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار
العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما
لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار
العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين
بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه
لا سيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل الاصبهاني ثنا ابو نعيم الحافظ
ثنا سليمان بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح ثنا
معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي
كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم
وعاء شرا من بطن حسب المسلم اكلات يقمن صلبه فان كان

فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري
بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا
فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه
صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان
على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم
يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في
اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل
وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله
ألم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه
وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم
يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم
ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله عليه السلام هو لها صدقة
ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت
الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال
سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله
صلى الله عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن

للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن
الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم
انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا
عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث
في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى
الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة
ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان
نومه صلى الله عليه وسلم على جانبه الايمن استظهارا على
قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق
به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر
فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم
على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره
الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته
والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا
وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع

في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنه افضل
هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد
قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن
التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما
صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال
سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن
ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري
كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير
شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون
النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله
عز وجل عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله تعالى عليه بالعجز
عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء
ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام
بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل
قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة
وعيب ولا تليق بالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وانما

معناه انه معصوما من الذنوب اي لا يأتيها كانه حصر عنها
وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في
النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص
وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة نفس
كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله سبحانه كيحيى عليه السلام
فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات حاطة الى
الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب
فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى
الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده
ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن
وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو
وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال صلوات الله عليه وسلامه
حبب الي من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين
هي من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل الآخرة
للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب
ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه
وكان حبه صلى الله عليه وسلم لهاتين الخصلتين لاجل غيره

لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في
مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين
وفصل بين الحالين فقال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة
فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية
فتنتهن وزاد عليه السلام فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله
عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطى الكثير منه ولهذا
ابيح له من الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل
والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين
رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي
عليه السلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم
وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع
وتطهر من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر
واطيب وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة
او تسع وتسعين وانه فعل ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنه
كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلاثمائة
امرأة وثلاث مائة سرية وعن النقاش سبع مائة امرأة وثلاث

وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا مائة وقد
نبه على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله ان هذا اخى له تسع وتسعون
نعجة وفى حديث انس رضى الله عنه عنه عليه السلام فضلت على
الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما
الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه فى القلوب
وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه السلام وجيها فى الدنيا
والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد فى الشرع مدح
الخمول وذم العلو فى الارض وكان النبى صلى الله عليه وسلم
قد رزق من الحشمة والمكانة فى القلوب والعظمة قبل النبوة
عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذونه واصحابه ويقصدون
اذاه فى نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخباره فى ذلك معروفة سياتى بعضها وقد كان
يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة انها لما راته
ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفى حديث
ابى مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبى صلى الله

عليه وسلم هون عليك فانى لست بملك الحديث فاما عظيم
قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالا
بالاصطفاء والكرامة فى الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو
فى الاخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا
القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما يختلف الحال
فى التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال
فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله
لحاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة فى نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له فى مهماته
ومهمات من اعتراه واملّه وتصريفه فى مواضعه مشتريا به المعالى
والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة فى صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرفه فى وجوه البر وانفقه فى سبيل الخير
وقصد بذلك الله تعالى والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل
بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه
حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة فى صاحبه
ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه فى هوة رذيلة البخل
ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله

ليست لنفسه وانما هو للتوصل بها الى غيره وتصريفه في مصرفه
فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي
بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل
هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال
الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له
فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد
المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى
الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض و
مفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه
في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب
وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة
من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما
بل صرفه في مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال
ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا
ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية
فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال

الآن استرحت ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة
في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب
الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية
الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في
الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من
سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه
وكون لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند
الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك
التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الآلات وخدمه ومركوباته
ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها
فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت
فضيلة زائدة عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها
وزهده في فانيها وبذلها في مظانها فصل واما الخصال
المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق
جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد

منها فضلاً عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد
السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء
النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس
وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها بجميعها قد
كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها و
الاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله عليه بذلك فقال وإنك
لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى
برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحسن الناس خلقاً وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولاً عليها في أصل خلقته وأول
فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي و
خصوصية ربانية وهكذا لسائر الأنبياء عليهم السلام ومن طالع
سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى
ويحيى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم
هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال
الله تعالى وآتيناه الحكم صبياً قال المفسرون أعطى الله تعالى

تعالى يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان
ابن سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت
وقيل في قوله تعالى مصدقاً بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى
عليهما السلام وهو ابن ثلاث سنين فشهد له أنه كلمة الله وروحه
وقيل صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد
ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على
كلام عيسى عليه السلام لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها أن لا
تحزني على من قرأ من تحتها وعلى قول من قال أن المنادي عيسى عليه السلام
ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبياً وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً وقد
ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة
الصبي ما اقتدى به داود أبوه عليهما السلام وحكى الطبري أن عمره
كان حين أوتي الملك اثني عشر عاماً وكذلك قصة موسى عليه السلام
مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله
تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي هديناه صغيراً قاله
مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل إبداء خلقه وقال
بعضهم لما ولد إبراهيم صلوات الله عليه بعث الله تعالى إليه ملكاً

يأمره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم فى النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنةً وان ابتلاء اسحق بالذبح
كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر
والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهراً وقيل اوحى الله الى يوسف
عليه السلام وهو صبى عندما همّ اخوته بالقائه فى الجب يقول تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك مما ذكر فى اخبارهم
وقد حكى اهل السير والتفسير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان
نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطاً يديه
الى الارض رافعاً رأسه الى السماء وقال فى حديثه لما نشأت
بُغِّضَتْ الىّ الاوثان وبُغِّضَ الىّ الشعر ولم اهمّ بشىء مما كانت
الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله تعالى منهما ثم لم أعد ثم
يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف
فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم
بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة
ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكماً
وعلماً وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها

جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله
تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة
او صدق اللسان او السماحة كما نجد بعضهم على ضدها فبا
الاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها
ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها
هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة فى العبد وحكاه عن عبد الله بن
مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى
سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن
الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حديثه
والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق
المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى
جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى
فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فا
فالعقل الذى ينبعث منه العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب
الرأى وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب

ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير و
واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله
عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه واذ
جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجارى
احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله و
بدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب
المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال
وسياسات الانام وتقرير الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم
الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم
فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض
والنسب وغير ذلك كما سنبينه فى معجزاته صلى الله عليه وسلم ان
شاء الله دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا
الجلوس الى علمائهم بل نبى امى لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله صدره
وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة
وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد
القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب
عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى

تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجايب قدرته و
عظيم ملكوته قال الله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما حارت العقول فى تقدير فضله عليه وخرست
الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه فصل واما الحلم
والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الا
لقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر
ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله
مما ادب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو
وأمر بالعرف الاية روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه
هذه الاية سال جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى اسأل
العالم ثم ذهب ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من
قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال الله تعالى
واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقال وليعفوا وليصفحوا وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت
منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد

مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب ثنا
ابو بكر بن وافد القاضي وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن
يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال
اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي
فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه
بابي وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا
فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت
ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع
الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر

الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم
حتى عفا عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم
فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل
اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين
له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن
يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه
قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى
الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في
غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف
صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن
خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه جئتكم من عند خير الناس
ومن عظيم خبره صلى الله عليه وسلم في العفو عفوه عن اليهودية التي
سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ
لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباهه

من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن
اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس رضي الله
عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية
فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة
عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه
وسلم وقال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي
ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الا
الاخر تمر وقالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى
وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله عز وجل وما ضرب
خادما ولا امراة وجيء اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك
لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه
فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني
عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول

في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن
القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر
عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه
وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها
في محمد صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله
ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث
عن حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من
ان تاتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش
واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله
تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شافتهم
وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي
يوسف لا تثريب عليكم اليوم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال
انس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح
ليقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم. فانزل الله تعالى. وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم الاية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان
جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه
في القول. ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله
فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم. ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلوات
الله عليه وسلامه فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة
فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم
الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه
ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة
الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد
التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق
الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي ثنا القاضي ابو الوليد الباجي ثنا ابو ذر الهروي
ثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحاق البلخي
ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان

سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول
ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس رضي
وسهل بن سعد مثله وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في
رمضان وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة
وعن انس رضي الله عنه ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة
واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة
ثم مائة وهذه كانت خلقه صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
وقد قال ورقة انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على
هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى العباس رضي الله عنه
من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت
على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء
قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر
عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار
يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله

صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت
ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء
واعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس رضي الله عنه كان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه
صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم
يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق
فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه
نائل والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وقد قال ابو علي
الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير فتكلم
في الفتوة على رأيهم واصطلاحهم في الفاظهم وهي غاية الكرم
والاثار ان هذا الخلق بكماله لا يكون الا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فان كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي ويقول محمد امتي
امتي صلى الله عليه وسلم فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس
عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان
النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل وقد حضر

المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو صلى
الله عليه وسلم ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من
شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه صلوات
الله عليه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي سراج
ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد
بن اسماعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي اسحاق سمع البراء
رضي الله عنه وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ
بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد
غيره انا ابن عبد المطلب قيل ما رأي يومئذ احد كان اشد منه
وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكره مسلم
وعن العباس رضي الله عنه قال لما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض
بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع و
ابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه

شيء وقال ابن عمر رضي الله عنه ما رايت اشجع ولا انجد ولا
اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي
رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اذا اشتد البأس واحمرة
الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد
اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد
الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى
الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس رضي الله
عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس
واجود الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى
الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في
عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا وقال عمران بن حصين
رضي الله عنه ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول
من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد
لا نجوت ان نجا وقد كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة

من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك
ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر
البعير اذا انتفض ثم استقبل النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه
في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا
من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس
بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك
والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة فصل واما
الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل
ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل
عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس
حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله تعالى ان ذلك كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم الآية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي
عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد
المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا عبد الله

اخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء
في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم
لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس
وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول
ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى
انس رضي الله عنه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا
وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى
ينزعها قالت عايشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزي
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكى مثل هذا الكلام عن
التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه
صلى الله عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد
وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة رضي
ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن
عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق

الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه
في وصفه صلى الله عليه وسلم كان اوسع الناس صدرا واصدق
الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف
الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره قال حدثنا ابو اسحاق الحبال ثنا
ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان
ومحمد بن المثنى ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي
كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس
ابن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة
في آخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا ووطا عليه بقطيفة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيس فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان
تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة
اولى بمقدمها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم
من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه و
يعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه

من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء
بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا
مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وكان صلى الله عليه وسلم
يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافي عليها
قال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لي لشيء صنعته لم
صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها
ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا راني
الا تبسم وكان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة

والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر
المعتذر قال انس رضي الله عنه ما التقم احد اذن النبي صلى الله عليه
وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ
احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه بين
يدي جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة
ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من
يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم
عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم
تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او
او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد
وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد
الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل
عليه قران او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رايت احدا
اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه
كان خدم المدينة ياتون النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة
بانيتهم فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس يده فيها وربما كان
ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة

والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله
جل جلاله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم
وحكى نحوه الامام بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن
محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا امام الحرمين ابو علي الطبري ثنا عبد
الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن
الحجاج ثنا ابو الطاهر ثنا ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطا
رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من الغنم ثم
مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان
قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني
حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال
احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا
اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم
قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء

فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في
صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه
وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال
نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم
يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني
ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه عليه السلام
انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج
اليهم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته صلى الله عليه وسلم
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله
عليه السلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء
وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة
لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم
وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى
الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته

فاجعل له ذلك زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه
بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال
له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك
الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني
بما شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم
بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به
شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال
اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة رضي الله عنها
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما
وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا
بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت
بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم
في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد
ابن اسماعيل بقراءتي عليه قال ثنا ابو بكر بن محمد ثنا ابو الفضل
الجمال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا محمد

محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن طهمان ثنا بديل
عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمسا
بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية
فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت
فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث
انتظرك وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة
انها كانت تحب خديجة وعن عايشة رضي الله عنها قالت ما غرت على
امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلائلها واستاذنت عليه اختها فارتاح لها ودخلت
عليه امراة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت
تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال
كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال
عليه السلام ان ال بني فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها
ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه
فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة قال وفد وفد
للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقالوا له نكفيك

نكفيك فقالا انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني لاحبا ان اكافيهم
ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له
بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك
ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه
فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته
وعن عمر بن السائب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد
عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست
عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته
بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد
وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له عليه السلام ابشر فوالله
لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق صلى الله عليه وسلم فصل
واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين

بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا
فقال له اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله قد اعطاك بما
تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيامة واول من تنشق عنه
الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد بن عواد الفقيه رحمه الله بقراءتي
عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال حدثنا الحافظ ابو علي
ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر
بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العدبس عن ابي
العنبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة رضي الله عنه
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له
فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال
انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب
الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة
العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس
وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما
اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وعن انس رضي الله عنه ان امراة كان في عقلها شيء جاءت فقالت
ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت

اجلس اليك حتى اقضى حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى
الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان
يوم بنى قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى
الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب وحج رسول الله صلى الله
عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوى اربعة دراهم فقال
اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض
واهدى فى حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش
المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله
عز وجل ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلونى على
يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيرونى على موسى ونحن
احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف فى السجن لاجبت
الداعى وقال للذى قال له يا خير البرية قال ذلك ابراهيم وسيأتى
الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى ومن عائشة
رضى الله عنها والحسن وابى سعيد وغيرهم رضوان الله عليهم فى صفته
صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان فى بيته فى مهنة
اهله يفلى ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه

نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم
ويطحن ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضى الله
ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضى حاجتها ودخل عليه
رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فانى لست
بملك انما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد وعن ابى هريرة رضى الله
عنه دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل
وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبى
صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم
بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت
لاحمله فقال صاحب الشىء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله
صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله
عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة
منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين
قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة
وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله
عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع

الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل
وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن
الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية
قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء امين في
الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل
بن خيرون ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب
المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام عن
سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه ان ابا
جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به
فانزل الله تعالى الاية فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك
وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر
فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني
عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق
وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش
قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر

ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله عنه
في وصفه صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة
رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس
المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد
ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج وقال ابن خالويه ما كان
اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة
هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء
جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس
فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا
يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم
الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو
جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هممت
بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله

بحول الله تعالى بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء
حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي
غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى
جئت اول دار من مكة وسمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس
بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم
اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم و
صمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني
الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي
اخبرنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله الوراق اخبرنا اللؤلؤي
ثنا ابو داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن
بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب قال سمعت خارجة بن
زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا
يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان
اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه صلى
صلى الله عليه وسلم تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة

قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم
بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير
وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا واقتداء به مجلسه مجلس حلم
وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا
تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته صلى الله عليه
وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث
الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيه انه غير غرض ولا وكل
اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان
احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان
في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي
هالة كان سكوته عليه السلام على اربع على الحلم والحذر والتقدير و
التفكر قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه
وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما
ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال

خصال الفطرة العشر فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم
من الاخبار في اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها
واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه
فتوحها الى ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي
في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو
عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي
ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين بن الحجاج ثنا ابو
بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود
عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية من خبز
شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببالي
وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر
حتى لقي الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى
صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث
عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله

ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي ان ربي عرض علي ان
يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما
فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم
الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي خبر آخر ان جبريل عليه السلام نزل
عليه صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك
اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق
ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت وعن عائشة رضي الله عنها ان كنا آل محمد لنمكث شهرا لم
نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته
من خبز الشعير وعن عائشة رضي الله عنها وابي امامة وابن عباس رضي الله
عنهم نحوه قال ابن عباس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت
هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس رضي الله
عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله عنها
انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف

ومن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا
نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما
فرشتموني الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطاته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى
يوثر في جنبه ومن عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي
صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت
الفاقة احب اليه من الغنا وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته
من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض
وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي
على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما
يقوتك فيقول يا عايشة مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل
صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم
واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا
دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت
فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه فصل واما خوفه
ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال
فيما حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال ثنا ابو القاسم الطرابلسي

الطرابلسي ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله
الفربري ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن
ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر
اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان
تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله تعالى والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم
بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت
اني شجرة تعضد ويروى هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول
ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت
قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه
عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عايشة رضي الله عنها كان عمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت
كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه
عن ابن عباس وام سلمة وانس وقالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل

مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت
معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا
يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول
سبحان الله ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل
ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله
وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى
قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائده وعن عائشة رضي الله عنها
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير
رضي الله عنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة رحمه الله كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى
الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة
وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي و
الصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين

واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي و
وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي
لاجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات
جميع الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم من كمال الخلق وحسن
الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفات
لانها صفات الكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم
اذ رتبهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله
بعضهم على بعض وقال عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال عليه السلام ان
اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث
على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا
في السماء وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى فاذا رجل ضرب
رجل اقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير
خيلان الوجه احمر كأنما خرج من ديماس وفي آخر مبطن مثل السيف قال
وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى عليه السلام
كأحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة رضي الله
عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا

الا ذروة من قومه ويروى في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي
عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه
ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله
عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه
اواب وقال عز وجل يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث
حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى مصدقا الى الصالحين وقال ان الله
اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران الايتين وقال في نوح انه
كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى
الصالحين وقال اني عبد الله اتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيا وقال
يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال النبي
صلى الله عليه وسلم كان موسى عليه السلام رجلا حييا ستيرا ما يرى
من جلده شيء استحياء الحديث وقال الله تعالى عنه فوهب لي ربي
حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال
ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله

فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى ولا
والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل عليه السلام انه
كان صادق الوعد الايتين وفي موسى عليه السلام انه كان مخلصا
وفي سليمان عليه السلام نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم
واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود
عليه السلام انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي
موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا وقال في شعيب ستجدني
ان شاء الله من الصالحين وقال ما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما
وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن
الدائم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم
وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك الانبياء

صلوات الله عليهم اجمعين تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي
ان سليمان عليه السلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء
تخشعا وتواضعا لله عز وجل وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة
ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا رأس العابدين وابن محجة
الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح
فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع
وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو
هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم خفف على داود القران
فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القران قبل ان تسرج ولا يأكل الا
من عمل يده وقال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر
في السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال
الله وقال صلى الله عليه وسلم احب الصلاة الى الله صلاة داود
واحب الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش
الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير
ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه
عز وجل ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه

من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج
متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى
عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار
وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اين ما ادركه النوم نام
وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما
ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال نبينا
صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير
لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق
بالسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله
حتى اتخذت الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحوش لئلا يخالط
الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل
بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما يكرع
الدابة تواضعا لله عز وجل بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا
كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور
والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في
كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا فصل قد اتينا

اكرمه الله من ذكر الاخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة، وخصال
الكمال العديدة، واريناك صحتها عليه السلام، وجلبنا من الآثار ما فيه
مقنع، والامر اوسع، فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد
تنقطع دون نفاده الادلاء، وبحر علم خصايصه زاخر لا تكدره الدلاء
ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح، والمشهور من المصنفات،
واقتصرنا في ذلك بقل من كل، وغيض من فيض، ورأينا ان نختم هذه الفصول
بذكر حديث الحسن عن ابي هالة لجمعه من شمائله صلى الله عليه وسلم
واوصافه كثيرا، وادماجه جملة كافية من سيره، وفضائله، ونتبعه
بتنبيه لطيف على غريبه، ومشكله، حدثنا القاضي ابو علي الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة، قال ثنا
الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي، قرأت عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر بن محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري، والشيخ الفقيه
ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن الحسين المحمدي، والقاضي ابو علي
الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا اخبرنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد
الخزاعي قال اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى
محمد بن عيسى بن سورة الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد
الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي

هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله
عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سألت
خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله، وقرأت على الشيخ
ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال
واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا
ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن
مهران الفارسي قرأت عليه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد
بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي رضوان الله عليهم
قال ثنا اسماعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن
علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي
بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي
هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان
وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخما مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر،
اطول من المربوع، واقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر،

ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره
ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق
يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله
اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان
دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق
بادنا متماسكا سواء البطن والصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم
الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري
كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين
والقدمين وسائل الاطراف او قال سائن الاطراف وسائر
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو
عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا
ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت
جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام
قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير

حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم
بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي
ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا
يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب
قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا
غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم يفتر
عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته
فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين
سألت ابي رضوان الله عليه عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى
منزله جزأ دخوله ثلاثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا في ذلك لاهله
وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة
بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الامة ايثار
اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما

فيما اصلحهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم
ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغايب وابلغوني حاجة من لا يستطيع
ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها
ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد
غيره يدخلون روادا قال في حديث سفيان بن وكيع روادا ولا
يفترقون الا عن ذواق ويخرجون ذلة يعني فقها قلت فاخبرني
عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيهم ويولفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل
قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي
عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسئل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف
لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر
عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم
عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة و
موازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن
وينهى عن ايطانها واذا انتهى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر

ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس
بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين
فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه
مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه
الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه
بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير
ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله
عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يويس منه
قد ترك نفسه من ثلاث الريا والاكبار وما لا يعنيه وترك الناس
من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم
الا فيما رجا ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير و
اذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له
حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما

تما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم
صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا
يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى
حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله
عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس واما تفكره ففيما
يبقى ويفنى وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع
له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده
الراي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى
الوصف بحمد الله تعالى والحمد لله فصل في تفسير غريب هذا الحديث
ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله
في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه تمشط
فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان
انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته
وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها
وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم
والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث

في الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس
الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم
الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج
ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد
الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي في
بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها
وقيل رقتها وتحديد فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج
فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة
بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله
في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم و
والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح
الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاقبال وهو احد معاني
اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه
وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا
مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع
في الرواية الاخرى حكاه بن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل
قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب

والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والذراعين
فخما الذراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع وذكر ابن
الانبارى انه روى سائل الاطراف وقال سائن بالنون قال وهما بمعنى
واحد تبدل اللام من النون ان صحت الروايتان بها واما على الرواية الاخرى
وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة
في الحديث ورحب الراحة او واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء
والجود وخمصان الاخمصين اى متجافي اخمص القدم وهو الموضع
الذى لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اى املسهما
ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال فيه
اذا وطئ بقدميه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله
مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام اى
لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن
القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي
وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطوى اى ان
مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال
ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط
من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب

والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب
الغمام البرد وقوله فيجزئ ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه
ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اى محتاجين اليه
وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
ويشبه ان يكون على ظاهره اى في الغالب والاكثر والعتاد العدة و
الشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى
لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير
هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن
فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى يتحدث بها اى لم تكن
فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير
الصياح وقوله لا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل من مقتصد في ثنائه
ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي
صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه
صلى الله عليه وسلم منهوس العقب اى قليل لحمها واهدب الاشفار
اى طويل شعرها الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
لعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه في الدارين من كرامة

صلى الله عليه وسلم لاخلاف انه صلوات الله وسلامه اكرم
البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس منزلة عند الله عز وجل واعلاهم
درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا
وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معنى ما ورد في
ذلك منها في اثني عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته
عند ربه بالاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم
وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه
وسلم اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال
حدثنا ابو الحسن المرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب
عن ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسماعيل عن يحيى الحماني
ثنا قيس عن الاعمش عن عباية ابن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق قسمين فجعلني
من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى عز وجل اصحاب اليمين واصحاب الشمال
فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا
فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة
والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث
قبايل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله سبحانه وجعلناكم شعوبا وقبايل

وقبايل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل
بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى
وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة ابن الاسقع
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم
اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس
رضي الله عنه انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة رضي الله عنها عنه صلى الله
عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها
فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اوتي بالبراق ليلة اسري به
فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم لما
خلق الله ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح
في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في
الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من ابوي لم يلتقيا

على سفاح قط. والى هذا اشار العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه
عمه صلى الله عليه وسلم بقوله من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع
حيث يخصف الورق. ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة
ولا علق. بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق.
تنقل من صالب الى رحم. اذا مضى عالم بدا طبق. في ابيات اخر وروى
عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة
وجابر بن عبد الله قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا.
فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم
تحل لنبي قبلي. وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية
بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي
امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود
قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة وهم من السود والحمر
العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن.
وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة رضي الله عنه نصرت بالرعب واوتيت
جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت
في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة ابن عامر قال

قال صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله
لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني
والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكن اخاف عليكم ان تنافسوا فيها
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي واوتيت جوامع الكلم وخواتمه
وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنه بعثت بين
يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده فقال الله جل جلاله ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك
الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت
الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك
وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها
لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه عز وجل اول
من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس
عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر

والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهراً وطيب لي ولامتي الغنائم
واحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من
الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيت وحياً اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعاً يوم القيمة
معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات
الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران
يقف عليها قرن بعد قرن عياناً لا خبراً الى يوم القيامة وفيه كلام
يطول هذا نجبته وقد بسطنا القول فيه وفيما سوى هذا اخر باب
المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباً من امته واعطي
نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيباً منهم ابو بكر وعمر وابن
مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة
الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنون وانها لم تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم
لمنجدل في طينته ودعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى مريم وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال ان الله فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على اهل السماء

السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء
قال ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال
لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحاً مبيناً قالوا فما فضله على
الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس وعن
خالد بن معدان ان نفراً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس
وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها
نوراً اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني
سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا اذ جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوة
ثلجاً فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني
ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها
ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم
تناول احدهما شيئاً فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به
قلبي فامتلأ ايماناً وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق

صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل عليه السلام قال قلب وكيع
اي شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه
زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من
امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم
فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته كلها لوزنها قال
في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني
ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك
وملائكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى
الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما
ان آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي
ويروى تقبل توبتي فقال الله تعالى له من اين عرفت محمدا قال رايت
في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى
محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه و
غفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي
رواية الآجري فقال آدم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا

عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي
انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم
عليه السلام يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروى عن سريج بن يونس
انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتهم كل دار فيها احمد او محمد
اكراما لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا
على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير
عن ابن عباس في قوله عز وجل وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب
فيه مكتوب عجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبت لمن ايقن بالنار
كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله
عنه على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله
لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا
الله محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض
بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله و
على الآخر محمد رسول الله وذكر اخباريون ان ببلاد الهند وردا
احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروي

عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم
من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى
ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة
يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نموا ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه
عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر الى قلوب العباد
فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه
برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده الاية
قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا
وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من
المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى
من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه صلوات الله عليه وسلامه قصة الاسرا
وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته
صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا

فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ
هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا
صلى الله عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها
ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو
علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير
واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي
ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن
فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة
ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها
الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة
ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك

قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني
الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليه وسلم فرحبا بي ودعوا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا
انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير قال الله عز وجل ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا
بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه صلى الله عليه وسلم
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا
انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو
يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى
سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال
فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في
كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت
خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون

لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت
الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع
الى ربك فسله التخفيف قال فلم ارجع بين ربي تعالى وموسى حتى
قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك
خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها
كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا فان عملها
كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال
ارجع الى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت لقد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه
جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه
باصوب من هذا فقد خلط فيه غيره عن انس رضي الله عنه تخليطا كثيرا
لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق
بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي قبل الوحي وقد
قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا
خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة
وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس رضي الله عنه من رواية حماد بن

حماد بن سلمة ايضاً مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم و
هو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفرةً
من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء
الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدةً وانه وصل
الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال واوهمه غيره وقد
روى يونس عن ثابت عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل
ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ
حكمة وايماناً فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا
الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن
مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف
في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد
وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكرها انكاً مفيدة في غرضنا
منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحباً بالنبي الصالح والاخ
الصالح الا آدم وابراهيم عليهما السلام فقالا والابن الصالح وفيه من
طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وعن انس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى

المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث
مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك
قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل
من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقد رايتني في جماعة
من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط
فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا
يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ
وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا
على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان
محمداً صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه عز وجل فقال كلكم اثنى على ربه
وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس
بشيراً ونذيراً وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي
خير امة وجعل امتي امة وسطاً وجعل امتي هم الاولون وهم الا

وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي
ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد عليه
السلام ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو
ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي
في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها
واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع
بن انس رضي الله عنه فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل
احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها
انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر
لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في
ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور
وغشيتها الملائكة قال فهو قوله سبحانه اذ يغشى السدرة ما يغشى
فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته
ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما
والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي

لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له
عليهما سبيل فقال له ربه عز وجل قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة
محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون
وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي
ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتم سورة البقرة من كنز تحت
عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى
قال اعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس
واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات
وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة
جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله
قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع
علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت
المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد
ذات يوم اذ دخل جبريل فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري
الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فسمت حتى سدت الخافقين

ولو شئت لمست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس
لاطىء فعرفت فضل علمه بالله سبحانه علي وفتح لي باب السماء ورأيت
النور الاعظم ولط دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله
الي ما شاء ان يوحي الي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما
اراد الله ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها
البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام
اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم
فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى فبينا هو كذلك
اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل
من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك
ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل
له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان
لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا
وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على
الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه
وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن
علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل

على اهل السموات والارض قال القاضي رحمة الله عليه ما في هذا الحديث
من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل فهم المحجوبون
والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن
حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء
ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا
الحديث واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه
من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب
ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام
عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب
في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون
امر الله عز وجل لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على
حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي
حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل
من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام
الله عز وجل ولكن من وراء الحجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته

فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في
هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله سبحانه
اعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده
على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام
مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكى
عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله
تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك وما حكوا عن عائشة رضي الله
عنها ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** بينا انا نائم
وقول انس رضي الله عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم
قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام **وذهب** معظم السلف
والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول
ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة
وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وسعيد بن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم و
مسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة
وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو
قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين

والمفسرين **وقالت** طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت
المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد
الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح
بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه
قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره
فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس
ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة
ابن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا **قال** القاضي
رحمه الله عليه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء
بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار
والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة
وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان ذلك مناما
لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى
ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا
كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه و حال

يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس
في رواية انس وفي السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق
وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه
بالانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلاة
ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل
بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع
فيه صريف الاقلام وانه وصل سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى
فيها ما ذكره قال ابن عباس رضي الله عنه هي رؤيا عين اريها النبي
صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في
الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت
لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى
باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ ما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء
الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء
الاخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه
ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن

وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم
اجدك فاجاب ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم
المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي
ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل
فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي
وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي
فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي
انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت
عن جانبها **فصل** في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله عز وجل سبحان الذي
اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس
يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به

احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة
في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب
بعضهم الى انها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس الناس
وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في
حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت
فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول
حمله والاسراء وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها
الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله
استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته
ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون
قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من
ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملا الاعلى
وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا
وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة
على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء
حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال فان تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات

من المحسوسات عن الله عز وجل ولا يصح هذا ان يكون في وقت
صلاته بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه
رابع وهو ان يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه
قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع
وفي رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع
وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته
بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما
هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في
الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره صلوات الله عليه وقبل
النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان
بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين
من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله
عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن
عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث
واما قول عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسده صلى الله عليه وسلم
فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا

ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في
الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة
بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل
قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من
غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل على انها حدثت بذلك
عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول بخلافه مما وقع
نصا في حديث ام هاني وغيره وايضا فليس حديث عايشة رضي الله
عنها بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هاني
وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة ما
فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا
يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان
يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان
قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب
وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا
يقابله قوله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر
وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم

اي لم يوهم القلب العين فهو مفعول القول والقلب مرفوع فاعل يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله غير الحقيقة مفعول ثان له لانه ينصب مفعولين وغير
بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة وتوهم بعض الشروح انه يجوز نصب العين والقلب المرتفع والقلب المرفوع فاعل تقدم او تاخر وتوقف فيه
الشمني وليس بمحل توقف لان المراد البصر والبصيرة متفقتان لم يخالف احدهما الاخر لو توهمها على الحقيقة لان العين قد ترى امرا ويتبين
خلافه وانه غير متحقق وقد يتصور القلب شيئا ثم يبدو خلافه والحاصل ان ما رآه ليس تخيلا كاذبا بل امرا محققا تواطأ عليه العين
والقلب وما قيل من امور القدسية يدركها القلب ولا تم يوردها على البصر ليس بمسلم

يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر
قلبه ما رأته عينه فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه
عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة رضي الله عنها
حدثنا ابو الحسن سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه حدثني
ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث
ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده
قال حدثنا عبد الله بن علي ثنا محمود بن ادم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد
عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام المؤمنين هل رأى محمد
ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد
كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه
الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور
عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال انما رأى
جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا
جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه
رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه
بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس
يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينه

روى عنه ذلك من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام
وابراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي
قيل ان الله سبحانه قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي
وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث
قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول
ان محمدا قد رأى ربه عز وجل مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال
وقال ان الله قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى عليهما السلام
فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير
الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد
بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل
هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن
يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر
كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق
ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى

وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم
وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن
حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال
سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية
عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة
رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن
احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى الم نشرح
لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه
انه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء
صلوات الله عليهم فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص
من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس
عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
تعالى والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته عز وجل في الدنيا جائزة
عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال
موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله سبحانه ولما

وما لا يجوز عليه بل لم يسئل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه
ومشاهدته من الغيب الذى لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له
الله جل جلاله لن ترانى اى لن تطيق ولا تحتمل رؤيتى ثم ضرب له مثلا
بما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه
ما يحيل رؤيته تعالى فى الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس فى الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه
الابصار لاختلاف التأويلات فى الاية واذ ليس يقتضى قول من قال
فى الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز
الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار
وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا
تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات
لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن ترانى
الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان
من قال معناها لن ترانى فى الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس فيه
نص الامتناع وانما جاءت فى حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق
التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله

تبت اليك اى من سؤال ما لم تقدره لى وقد قال ابو بكر الهذلى
فى قوله لن ترانى اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الىّ فى الدنيا وانه
من نظر الىّ مات وقد رايت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
ان رؤيته تبارك وتعالى فى الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا
وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على
الرؤية فاذا كان فى الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة
باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد
رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمة الله عليه قال لم ير فى الدنيا لانه باق ولا
يرى الباقى بالفانى فاذا كان فى الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رئى الباقى
بالباقى وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث
ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء
الرؤية لم تمتنع فى حقه وقد تقدم ما ذكر من قوة بصر موسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة الاهية منحاها لادراك
ما ادركاه ورؤية ما راياه والله اعلم وقد ذكر القاضى ابو بكر فى اثناء
اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام راى الله تعالى
فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه عز وجل فصار دكا بادراك خلقه الله
له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى

صعقا وتجليه جل جلاله للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا
القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات
صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى عليه السلام رآه وقد
وقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية
محمد نبينا صلى الله عليه وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية
في الجواز اذ ليس في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله
عليه وسلم والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص
اذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن
ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس
خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد
مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ محتمل
للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف
مشكل فروي نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني
اراه وفي حديثه الاخر سألته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج
بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر
انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا حجبه ومنعه عن رؤية الله سبحانه
والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اى كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر

والالهام كما قال الزركشي ما حرك القلب بعلم يطمئن به ويدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذي عليه الجمهور انه خيال لا يجوز به العمل الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحي لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقويها وقال السمعاني انكار اصله لا يجوز انتهى ولا يخفى ان الخلاف في غير الهام الانبياء ومن كان في حكمهم وقال الواحدي في تفسيره نقلا عن ... في تفسير قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي

للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث
الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى
والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء
لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه
اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق للصواب فصل
واما ما ورد في هذه القصة من مناجاة الله عز وجل وكلامه مع قوله
فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على
ان الموحي الله تعالى الى جبريل عليه السلام وجبريل الى محمد صلى الله
عليه وسلم الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال
اوحى الله اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض
المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسراء وحكي عن
الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وذكر
النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله تعالى
دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام
ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس
في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله عز وجل وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي

باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
عليه السلام وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء صلوات الله عليهم
واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم
صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه
في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار
عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم
لكلام الله عز وجل من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر
كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين
في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام
الله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من الانبياء
صلوات الله عليهم جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه
فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه عز وجل لموسى عليه السلام
كائن حق مقطوع به نص على ذلك في الكتاب واكده بالمصدر
دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء
السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا
كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق

في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء
وجعل بعضهم فوق بعض درجات **فصل** واما ما ورد في حديث
الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنا فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم
بين محمد وجبريل صلوات الله عليهما او مختص باحدهما من الاخر او من
السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم
دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما
بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب
جل جلاله دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال
ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل و انقطعت
عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل
الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة جل وتعالى فتدلى حتى كان
منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة
وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم

دنا من ربه عز وجل فكان قاب قوسين وقال قال جعفر بن محمد
ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو
من الله تعالى لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت
الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا
محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى
بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا
من الله تعالى او الى الله عز وجل فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل
كما ذكرنا عن جعفر الصادق وليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله
عليه وسلم من ربه عز وجل وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف
رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته
ومن الله مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول في قوله عليه السلام
ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال
وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم
مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته
اذ لا دنو للحق جل جلاله ولا بعد وقوله تعالى قاب قوسين او ادنى
ان جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا

على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة
والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة
الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من
الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت
منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المأمول **فصل** في ذكر تفضيله صلى الله عليه وسلم
في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل
وابو الحسين ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي
ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع
ابن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي
رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا
وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي
وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كأنهم
لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم

عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري ومن
ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم
يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن
سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر ومن
ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول
مشفع ومن ابن عباس رضي الله عنه انا حامل لواء الحمد يوم القيامة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق
الجنة فيفتح لي فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر ومن انس انا اول الناس يشفع في الجنة
وانا اكثر الناس تبعا ومن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد
الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين
وذكر حديث الشفاعة ومن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال
اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيامة وفي حديث آخر
اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم قال انهما
في امتي يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني
من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى

وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله صلى الله
عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم
القيامة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة
دون غيره اذ لجأ اليه الناس في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي
يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر
لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له سبحانه في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت
دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجاء الى محمد صلى الله عليه
وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى
ومن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح
لاحد قبلك ومن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه
ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب
منه لم يظمأ ابدا ومن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة
يشخب فيه ميزابان من الجنة ومن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب
والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعا

اى طول الحوض يطول مابين مابين البلدتين وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح العين وتشديد الميم وهو المرور فى حديث الحوض قرية بالشام
وحكى فيه التخفيف لا غير وقيل انها البلقاء وهو المراد والتى باليمن بالضم والتخفيف لا غير وقيل انها المرادة هنا الرواية مابين بصرى وصنعاء والمراد
زيادة التطويل فلا تعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق
وقيل غير ذلك وقد سميت بايلة بنت مدين بن ابراهيم لانه سكنها النعمان بن سنان من ولد ابراهيم عم
شهاب

وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا
انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة ابن عامر وحارثة بن وهب
الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى وحذيفة بن اليمان وابوا
امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل
ابن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدرى وعبد الله الصنابحى
وابو هريرة والبراء وجندب وعايشة واسماء بنت ابى بكر وابو بكرة
وخولة بنت قيس وغيرهم رضى الله عنهم فصل فى تفضيله صلى
صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة
واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو
القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم
وثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضى ابو الوليد ثنا
عبد بن احمد ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن
اسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن بسر بن
سعيد عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا
خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر وفى حديث اخر وان صاحبكم خليل الله
ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا ومن
ابن عباس رضى الله عنه جلس ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه

وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا
وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى
كلمة الله وروحه وقال اخر وآدم اصطفاه الله فخرج عليهم وسلم وقال
قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله
وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه من قول الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب فى التوراة
حبيب الرحمن قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه اختلف فى تفسير الخلة
واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذى ليس فى انقطاعه
ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال
بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه
ويعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله
الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها ابراهيم لانه

الموالاة المحبة فى بعض الايام كقوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا ... من المومنين ... والفقه
والبغض ... المعصية والضلال كقوله تعالى
لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولذا قالوا اذا
صافى صديقك من تعادى فقد
عاداك ... فاعقل الكلام
شهاب

لانه قصر حاجته على ربه عز وجل وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل
غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى به في النار فقال
الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة
توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها
الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك عز وجل في كتابه
بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم فاوجب للمحبوب انه لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة
لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذن تسمية ابراهيم ومحمد
صلوات الله عليهما بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف
حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب
او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل
بواطنهما من اسرار الالهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره ولهذا
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام
لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف
العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة

المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل
الا حبيبا لكنه خص ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم
بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه السلام لو
كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذ وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها
واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب
نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام
واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل
منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق واما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته و توفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في
الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله
والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب له واخلاص
الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران رضاه
برضى ويسخطه بسخطه ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت

كنت حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا فان مزية الخلة و
خصوصية المحبة خالصة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت
عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة
وكفى بقوله تعالى ان كنتم تحبون الله الاية وحكى اهل التفسير ان
هذه الاية لما نزلت على الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما
اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى عز وجل غيظا لهم ورغما
على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم
بطاعته عليه السلام وقرنها بطاعته عز وجل ثم توعدهم على التولي
عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة
اشارته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي
الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه
من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي
تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك الاية والخليل قال لا تخزني والحبيب قيل له

قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدأ بالبشارة قبل السؤال والخليل
قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل
قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك
ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصناما
والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل
المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ
ابو علي الغساني الجياني فيما كتب الي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله
القاضي ثنا محمد الاصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد قالا ثنا محمد بن
يوسف قال حدثنا محمد بن اسماعيل قال ثنا اسماعيل بن ابان
ثنا الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون
يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا
يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم
فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا

فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر
الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة
خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود
وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود رضي الله
عنه صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه
غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي
رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود رضي قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك
يوم ينزل الله تعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى رضي عليه السلام
خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين
وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة فقال
شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن
ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى
امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق
للامم قبلهم فسألت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل

ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم
الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى
يا محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك و
المهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا
منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك
المقام المحمود الذي ذكر الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا
دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة
وآخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم
فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون آدم
وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله
عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود
ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني
الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله
به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين
وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان المقام
المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيامة قال قتادة كان اهل العلم

يريد أن المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة وعلى أن المقام
المحمود هو مقامه صلى الله عليه وسلم للشفاعة مذاهب السلف
من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين • وذلك جاءت بتفسيره
في صحيح الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم • وجاءت مقالة في تفسيرها
شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند
نظرا ولو صحت لكان لها تأويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله عليه
وسلم • في صحيح الآثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يأت في
كتاب • ولا سنة • ولا اتفقت على المقال به أئمة وفي اطلاق ظاهره منكر
من القول وشنعة وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم في حديث بعض قال النبي صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين
والاخرين يوم القيامة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة رضي
وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون
الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم
ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك
ملائكته • وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله

[illegible]

قبله مثله ولا يغضب بعده مثله • ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول
الرسل الى اهل الارض • وسماك الله عبدا شكورا • الا ترى ما نحن فيه
الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس
ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم • وفي رواية ابي هريرة وقد
كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من
اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي
قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله • ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي
لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله • وفي رواية اخرى فانه عبد آتاه
الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها
ويذكر خطيئته التي اصاب • وقتله النفس نفسي نفسي • ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقول انا لها فانطلق
فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا • وفي رواية
فآتي تحت العرش فأخر ساجدا • وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد

لا اقدر عليها الآن يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده
وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال وفي رواية ابي هريرة فيقال
يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب
امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر
في رواية انس هذا الفصل وفي رواية وقال مكان ثم اخر ساجدا فيقال لي
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول
يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة
من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد
فذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم
ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى
ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي
ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فاقول يا رب ائذن
لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وعظمتي
وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة
عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار
الا من حبسه القرآن اي من وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة

وعقبة بن عامر وابي سعد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له
وتأتي الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك
عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم الريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط
يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث
وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجوز وعن ابن عباس رضي الله عنه عنه
عليه السلام توضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان
اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم
من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع
حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار يقول
يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيامة ولا
فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر
فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار جل جلاله فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية

انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأشفعن يوم القيامة
لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار
شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى
آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق
والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة
الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث
عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا
حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع في من
وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة
ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي
الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة
لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم وبلغ
فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله
عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف
وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الإجابة وقد
قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة
دعى بها في أمته فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي

لأمتي يوم القيامة وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فيعجل
كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن
أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة
بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته
أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه
الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله أحسن
ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

فصل

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا
القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن
أحمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد
المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا أبو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب
عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد
الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا
علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة
فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون
أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث

وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ
عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر
الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن
عايشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه
احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق
شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس
وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن
جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر
عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي وعن
ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من
لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له
من الازواج والخدم فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح
الاثر واجماع الامة كونه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر وافضل الانبيا
فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل كقوله
كقوله فيما حدثناه الاسدي وقال حدثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا
الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة

قال التوربشتي وانما خص يونس بالذكر دون غيره من الرسل لما قصه الله تعالى في كتابه عنه من توليه عن قومه وتضجره منهم وقلة صبره فقال ولا تكن كصاحب الحوت وناداه وهو مكظوم وقال اذ ابق الى الفلك المشحون فلم يأمن صلى الله عليه وسلم ان يخامر بواطن ضعفاء امته ما يؤدي الى نقيصه فبين ان ذلك لا يقدح فيما منحه الله به من كرامة النبوة وشرف الرسالة وانه مع ما صدر عنه كاخوانه انتهى ملا القاري

ابو العالية [illegible]

شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله
عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي
لعبد ان يقول انا خير من يونس ابن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة
قال يعني رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة في
اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من
الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين
اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين
الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه
ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن
احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر فجاءه رجل فقال يا
خير البرية فقال ذلك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث
تاويلات احدها ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم
انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل
بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي
تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله
صلى الله عليه وسلم عن طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا

اي لا توقعوا التفضيل

وقد يكون له خصوصية يمتنع معه التفضيل باعتبار

من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى
تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله
عنه لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من
رتبته الرفيعة اذ قال الله تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون فظن
ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه
الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء عليهم السلام
فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة
في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك
منهم رسل ومنهم اولو عزم ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم
صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات قال الله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال عز وجل
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم والتفضيل
المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته
اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر
وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام
او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه

واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة
اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح
في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه
صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس
وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء
والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان
درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة
خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه
صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى
بن ابي تليد الفقيه قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن
اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن
مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا
واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره

عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد
مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل
من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه
لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة
الحمد ويبعثه ربه مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والآخرون
بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط
غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في
هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن اخر هو ان الله جل
اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به
الانبياء فمنع الله بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى
لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يتسم به احد
من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده
ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء
ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة
بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن البراء البكري
ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي
لا سابع لهم ويقال اول من سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد

بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة
او يدعيها له احد او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت
السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله صلى الله عليه
وسلم وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو
الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه
ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات
من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني
وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا
لانه عقب غيره من الانبياء وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي
نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي على سابقتي
قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي قدامي وحولي
اي يجتمعون الي في القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله صلى الله عليه
وسلم لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي
العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسماء
وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طا

يا هادي. وفي يس انه يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن
محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول
قال وانا رسول الرحمة وانا رسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى
قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه
وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا
محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش
عنه صلى الله عليه وسلم لي في القران سبعة اسماء محمد واحمد
ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث عن جبير بن
مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وعاقب وحاشر وماح وفي
حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه اسماء
فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة
ونبي الرحمة ويروى ونبي المرحمة والمرحمة وكل صحيح ان شاء الله تعالى
ومعنى المقفى معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين واما نبي الرحمة والتوبة
والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة

امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه ربه تعالى رحمة لامته
ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته
امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال
ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن يوم
القيامة ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي
الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهي صحيحة
وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه نبي الرحمة ونبي التوبة
ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه انه عليه السلام قال اتاني
ملك فقال انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم
هو في اهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام
وسماته في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج
المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد
والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم
صدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط
المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في وصاف
كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب

مغفور لها متاب عليها كما رواه الحاكم في الكنى عن ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابو داود والطبراني والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة وانما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا
مطلب

وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جمله شافية
كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابى القاسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمتقى والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادى وسيد ولد ادم وسيد
المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل
الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب
الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين
ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتوكل والمختار ومقيم
السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط فى الانجيل
وقال ثعلب البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه
صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب
وحطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم
الذى ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى
بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا فى التورية احيد روى
ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك

قوله اذود الناس لاجلهم حتى يتقدموا وفى هذا كرامة لاهل اليمن فى تقديمهم للشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم فى الاسلام وفى نسخة
لاهل اليمن وفى رواية مسلم فى المناقب وهو الرجل الذى جعل اصبعه والخبر صوتو بها وقال المراد بها الجهة المعروفة من يمين الكعبة انتهى والاظهر ان المراد
باهل اليمن اصحاب اليمين من اهل الجنة ويدخل فى عمومهم اهل اليمن وخص بهم لان ان البعض يعلم منه بالاولى كما لا يخفى هذا وقد ضعف النووى هذا القول
من القاضى بان المراد من وصفه بها بعرضه بعصا يرد بها الناس معه ويستدلون بها على صدقه وانه المبشر المذكور فى الكتب السالفة فلا يصح تفسيرها
بعصا يكون فى الاخرة فالصواب ما قاله الائمة فى تفسيره صاحبها انه كان يمسك بيده القضيب كثيرا وقيل لانه كان يمشى والعصا بين يديه

ذلك مفسرا فى الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به
وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذى كان يمسكه
صلى الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التى وصف
بها فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة فى حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن واما التاج فالمراد به
العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه
صلى الله عليه وسلم والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرناه
منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم
وروى عن انس رضى الله تعالى عنه انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل
عليه السلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم صلى الله عليه وسلم فصل
فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من
صفاته العلى صلى الله عليه وسلم قال القاضى ابو الفضل رضى الله
عنه احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه فى سلك
مضمونها وامتزاجه بعذاب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية
الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند
الخوض فى الفصل الذى قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله
فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه

كتسمية اسحق واسماعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور
وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوى ويوسف بحفيظ عليم وايوب
بصابر واسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع
ذكرهم صلوات الله عليهم وفضل نبينا صلى الله عليه وسلم بان
حلاه منها فى كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا
منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم يجد من جمع منها
فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا هذا الفصل
نحو ثلثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم
النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الان ويفتح غلقه فمن اسمائه سبحانه
الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا
بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله عليه
وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود
واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان
بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن
اسمائه عز وجل الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه فى كتابه
بذلك فقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق
المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وذلك المبين

المبين اى البين امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى
المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى صلى الله عليه
وسلم بذلك فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال
وقل انى انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران
ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بمعنى الاول
والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال
لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه جل جلاله النور ومعناه
ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور
قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا
سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين و
العارفين بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه سبحانه الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه شهيدا
او شاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم
شهيدا وهو بمعنى الاول والله المستعان ومن اسمائه تعالى
الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلى

وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه كريما بقوله
انه لقول رسول كريم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل
عليه السلام انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم صحيحة في حقه
صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه عز وجل العظيم ومعناه الجليل
الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم
وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التورية عن اسماعيل
عليه السلام وستلد عظيما لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم
عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي
النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها
الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك
ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة
بالهداية والتعليم او لقهره اعداه او لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره ونفى تعالى عنه في القران جبرية التكبر التي لا
تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير
ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر
وقال الله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء

المامور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤل الخبير هو
النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه
وسلم والمسؤل الله عز وجل فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير
بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله
من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم
ومن اسمائه تبارك وتعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح
ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم
وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان
تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع
ابن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى
وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم
في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة
على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر
للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبتدا المقدم في الانبياء والخاتم

كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث
صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه عز وجل في الحديث الشكور ومعنى المثيب
على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه
نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا
بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجتهدا نفسه في الزيادة من
ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فالدال الزيادة ومن اسمائه
سبحانه العليم والعالم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف
نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر
ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها
وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال صلى الله عليه وسلم
كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم
محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون وقوله

وقوله انا اول من تنشق الارض واول من يدخل الجنة واول
شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلوات الله
عليهم ومن اسمائه عز وجل القوي وذو القوة المتين ومعناه
القادر وقد وصفه الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش
مكين قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل عليه السلام ومن
اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا
اسمه عليه السلام بالصادق والمصدوق ومن اسمائه سبحانه الولي
والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعالى انما وليكم الله ورسوله
وقال عليه السلام انا ولي كل مؤمن وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين
وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه
تبارك وتعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه
في القرآن والتورية وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف
عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله تعالى خذ العفو قال
ان تعفو عمن ظلمك وقال في التورية والانجيل في الحديث المشهور
في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
جل جلاله الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى
الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام

ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل
من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم
وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى
الاول قال الله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن
وقيل هما بمعنى واحد ومعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده
عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله
وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين
في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين صغر منه فقلبت
الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم من اسماء الله
تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ
والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله
تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين
وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في
قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل
المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري

القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق
وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه
سبحانه القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات
الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الواد
المقدس اي المطهر وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه
عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب و
يتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور
او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف
الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب والذي لا
نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله عز وجل نفسه بالبشارة والنذارة
فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى
وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته ومن اسمائه عز وجل في ما ذكره بعض المفسرين طه
ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم
فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وها انا اذكر نكتة

اذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الاشكال بها فيما
تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه
وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان نعتقد ان الله تعالى جل جلاله
في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلي صفاته لا يشبه
شيئاً من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع
على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات
القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته عز وجل لا تشبه الذوات
كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن
الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته
واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من
قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة
للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي
بياناً وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا
كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ
وجلت الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان
يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق
والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم

القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيدهم بيانا فقال هذه
الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله
فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر
واغراض وجد ولا بمباشرة ولا معالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج
عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم
او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني
من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى
النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته
فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري رحمه الله حقيقة التوحيد
ان تعلم ان قدرة الله سبحانه في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا
مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير
لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله عز وجل لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه

بمنه ورحمته الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات
وشرفه به من الخصايص والكرامات صلى الله عليه وسلم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه حسب المتأمل ان يحقق ان كتابنا هذا لم
نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن
اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ
الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين
لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته
لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد
واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير
كتب الائمة واذا تامل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل اثره
وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع
خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق
دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن
الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال
لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما

اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي عن ابي
علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد
الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد
عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله
بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى
مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس
البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له
طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال
هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا
وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل
لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير

رأينا وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا نحسن بكم فأصبحنا فجاء
رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يأمركم ان
تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى
ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى
الاسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي صلى الله عليه وسلم
الامي انه لا يأمر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان
اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد
وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال
ابن رواحة في هذا المعنى لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك
بالخبر وقد آن ان نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في
معجزة القرآن وما فيه من برهان دلالة فصل اعلم ان الله جل
اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما
حكى عن سنته في بعض الانبياء صلوات الله عليهم وذكره بعض
اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا

وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه
ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء
او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل
واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من
معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة
مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي
فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقول وهذا كاف والتطويل
فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات
ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز مأخوذة من النبأ
وهو الخبر وقد لا تهمز على التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى
اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى
مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله
عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو
ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة
عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما
الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة الا
نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه

من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضاً
فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء
هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء
وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي فقد اثبت لهما معاً الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا
الرسول الا نبياً وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي
هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك
وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار
والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو
كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما
ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم
الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير رسول وان
امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجماء الغفير ان كل رسول
نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله عليه
وسلم اجمعين وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم الانبياء
مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة
وثلثة عشر اولهم ادم عليه السلام وعلى جميعهم السلام فقد بان لك

الكرامية بجوز التشديد والتخفيف وهم منسوبون الى محمد بن كرام ومحمد هذا كنيته ابو عبد الله السجزي سمع علي بن حجر وغيره مات بالقدس سنة ٢٥٥ وهو صاحب المقالة ذكره الحلبي وفي القاموس محمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بان معبوده مستقر على العرش وانه جوهر تعالى الله عما ذلك علوا كبيرا وكان سجن بنيسابور ثمانية اعوام لاجل بدعته ثم خرج فسار الى بيت المقدس ومات بالشام
على القاري رحمه الله

لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتاً للنبي
ولا وصف ذات خلافاً للكرامية في تطويلهم وتهويل ليس
عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحياً و
سميت انواع الالهامات وحياً تشبيهاً بالوحي الى النبي وسمي الخط
وحياً لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما
ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً اي اومأ و رمز
وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر
والاخفاء ومنه سمي الالهام وحياً ومن قوله تعالى وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون ومن قوله تعالى واوحينا الى
ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحياً اي بما يلقيه في قلبه دون واسطة
فصل واعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق
عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي ضربان ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني
الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على رأي بعضهم ونحوه وضرب
هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى

وقلب العصا حية ولخروج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من
بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله
تعالى فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي
بمثله تعجيزا له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه
وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو
اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في
كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران لا يحصى عدد
معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم
قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا
اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها معجزة
ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات
ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل
الينا متواترا كالقران بلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم
به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد
فهو كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض
الجاحدين في الحجة فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم
ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال

اعلم ان حاتما هذا والعدي قدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع في شعبان وكان نصرانيا فاسلم واسلمت اخته بنت حاتم قبل
عدي واما عنترة فهو ابن معاوية بن شداد وكان عنترة شديد السواد وامه زبيبة امة سوداء وكانت لابيه وكان من اشهر فرسان العرب
واشدهم بأسا وفي القاموس العنترة جعفر وجندب في لغة الذباب والعنترة صوته والشجاعة في الحرب هذا ولو قال كشجاعة علي لكان
اظهر فانه بهذا الوصف بين العرب والعجم اشهر واما الاحنف فهو بفتح الهمزة ثم حاء مهملة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم فاء روى عن عمر
وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعنه الحسن وجماعة وكان سيدا نبيلا خرج له الائمة الستة مخضرم قد اسلم في عهده

قال بعضا ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه
عليه الصلوة والسلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها
معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا
يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجايب وانما خلاف المعاند
في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة
قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه
وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة
عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم
هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر في نفسه لا يوجب العلم
ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع
وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين
والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر
اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان
بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق
ان كثيرا من هذه الايات المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع اما
انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن

عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة
فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى مخافة
مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه
وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات
والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما
رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة
واخبارهم ان ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق
وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل
المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي
فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت
منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه
منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض
اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته
كما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل
لا بد مع مرور الزمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف

من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة
والاراجيف الطارئة واعلام نبينا هذه الواردة من طريق الآحاد لا
تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن
العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على
اطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا
وكذلك اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب وانباؤه بما يكون
وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه
وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما
عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد
الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف
والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الحديث والسير لم يرتب في صحة
هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل
العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر الناس يعلمون
بالخبر ان كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة
والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها
وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل
عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد والامام

اى يهجون به البخيل اللئيم الشأن واصل الجد النصيب والشعر لحضرة مولانا العلامة سلمه الله تعالى

واجزاء النية فى اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعى
يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار فى المسح على بعض الرأس
وان مذهبهما القصاص فى القتل بالمحدد ونحوه وايجاب النية فى
الوضوء واشتراط الولى فى النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما
فى هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا يرى فى
اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عما سواه وعند ذكرنا
احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى

فصل فى اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز
منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها
فى اربعة وجوه اولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته
ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم
كانوا ارباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة و
الحكم بما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم
يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم
ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها فى المقامات وشديد
الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون

ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون
فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من
سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون
الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان
ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى
ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهرى
والمنزع منهم الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة
والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف فى القول القليل
الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما فى البلاغة
الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج
لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا
صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطير والمهين وتفننوا فى الغث
والسمين وتقاولوا فى القل والكثر وتساجلوا فى النظم والنثر
فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته
وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر

ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن
مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه
واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار
لفظه وهم افصح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا
واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا
بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون
صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس
الملا اجمعين ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل
ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى
الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب
كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم
صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه
احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم واباءهم ويستبيح

ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون
عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب
بالتكذيب والاغترار بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر
وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم
قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء
مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله تعالى ولن
تفعلوا فما فعلوا وما قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف
على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم وتولوا
عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما
سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل
والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله
لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا
سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع
آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا
لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان يوماً نائماً في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق
فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها
وانه سمع رجلاً من اسرى المسلمين يقرأ اية من كتابكم فتأملها فاذا هو
قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله
تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك
فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام
موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على
التحقيق والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه
وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلوة والسلام متحدياً
به ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته
خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة
وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته
واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى ولكم
في القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من
مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه

عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصباً الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران اذا نظرت
حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها
وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها
جملاً كثيرة وفصولاً جمة وعلوماً زواخر امتلأت الدواوين
من بعض ما استفيد منها وكثرة المقالات في المستنبطات عنها ثم
هو في سرد الاقاصيص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف
في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتأمله
من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه
كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات
عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها
ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه
العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج
نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع اية وانتهت فواصل
كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد

فما ثلثة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم
ولم يهتدوا الى مثله فى جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز
او شعر ولما سمع كلامه عليه السلام الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران
رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار
منى والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا وفى خبره الآخر حين
جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله
ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا نقول مجنون قال
ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال
ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا
نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا
الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق به
بين المرء وزوجه والمرء وابنه والمرء واخيه والمرء وعشيرته ففرقوا
وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله فى الوليد ذرنى ومن
خلقت وحيدا الآية وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم
قد علمتم انى لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد

لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث مثله وفى حديث اسلام ابى ذر
رضى الله عنه ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر
من اخى انيس لقد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية انا احدهم وانه
انطلق الى مكة وجاء الى ابى ذر بخبر النبى صلى الله عليه وسلم قلت
فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول
الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما
يلتئم على لسان احد بعدى انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون
والاخبار فى هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد
منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منها
اذ كل واحد منها خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها
والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدين
بهم الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك
بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم
بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن فى علوم البلاغة وارهف خاطره
ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف

ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع
في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع
تأليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق
الممتنع اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى
وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر
ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله
هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب
عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر
وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع
والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر
اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على
الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الانف واباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه
الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها
اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم
ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما
منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء

واطفاء نوره فما اجلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا
بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر
الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان
نوعان من اعجازه **فصل** الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه
من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى
الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين
وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الاية وقوله
اذا جاء نصر الله والفتح الخ فكان جميع هذا كما قال تبارك وتعالى
فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا
فما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع
لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم
وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلى الله
عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها وقوله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل
محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم

وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء
شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلماته ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع و
يولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية
وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف
اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم
بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
وقوله ويخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله تعالى
ومن الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما
قدره الله تعالى واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه
قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله تعالى كفاه اياهم وكان المستهزئون
نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه صلى الله عليه وسلم
فهلكوا وقوله والله يعصمك فكان ذلك على كثرة من رام ضره

ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة والحمد لله

فصل الوجه الرابع ما انبأ به من اخبار القرون الماضية والامم
السالفة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا
الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي
صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك
بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه
وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب
عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى
الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا
كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى وخضر ويوسف واخوته واصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء و
القصص وبدء الخلق وما في التورية والانجيل والزبور وصحف
ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر
منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي
معاند حاسد ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود
على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم
بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له

عليه الصلوة والسلام وتعجيزهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم
ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات
كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى
وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام
ومن طيبات كانت احلت وحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم
في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل
فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته عليه السلام وصدق مقاله
واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وبني
اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان
فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف
عورته فقيل له قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى
قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع
فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم
يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا
ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين فصل

اي هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروي ان العاقب هو سيد القوم كان لسيد شرحبيل فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال نناجزكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على ان
لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب فصالحهم صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادي نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال في المواهب وقد حرمت وانه لا يمضي على الكاذب سنة كاسمعه
وقد علمت ان هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود عن تمني الموت ولذا اورده المصنف هنا
شهاب رحمه الله عليه

فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا
مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت
بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا
على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
الآية قال ابو اسحاق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة
على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين واعلمهم
انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده لا يقوله رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت
مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة
ما اوحي اليه اذ لم يتمنه واحد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا
ولكن يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو
محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم
امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب اليه
وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة
من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل
الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا
منه ورضوا بالجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه

انه بنى وانه مالا عن قومه ما بنى قط فبنى كبيرهم ولا صغيرهم ومثله
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية ادخل في باب الاخبار
من الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها الروعة
التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند
تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى
كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون
انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال
روعته وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة
لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تبارك وتعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال
لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص
به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني
انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من
اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح

الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم
الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك
اول ما وقر الاسلام في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى
صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم فصلت
الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في
النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره
معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى
اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي
بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب
ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو
من كلام البشر وكان افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ
الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص

يتحدو على مثالها، ويتبجح بزعمه على منوالها، قال فاعترته خشية،
ورقة حملته على التوبة والانابة. فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة
كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون. وقال لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه. وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها
فلم يبق الا خبرها. والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على
ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول
نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار
كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان
الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد
فما سمع منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في
مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من
ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه
في العجز بيديه والنكوص على عقبيه. فصل وقد عد جماعة من الائمة
ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة. منها ان قارئه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة
لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة

والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به
في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد
فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون
تنشيطهم على قراءتها. ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه
هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء
ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا
انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به. ومنها جمعه لعلوم
ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء
الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع
والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم ببراهين
قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذ
المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله
تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
وقل يحييها الذي انشأها اول مرة. ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار

واخبار الدار الاخرة ومحاسن الادب والشيم قال الله عز وجل
ما فرطنا في الكتاب من شي ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا
مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم
لا يخلقه كثرة الرد ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به
صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن
عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره
اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين
والصراط المستقيم حبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن
تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود
وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبا الاولين والاخرين
وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك
توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا
فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران
فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القران

القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال الله هذا بيان للناس وهذه الاية تجمع في القران مع وجازة
الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على
الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك
انه احتج بنظم القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء
هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم
موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها
ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى
على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره
تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وساير الامم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجماء على مرور الاعوام عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان
في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف انواعها
والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب
الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي
وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير

وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون تخلل فصوله
والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته
وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من
تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن
اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم
وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم
واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء بمثل مصابهم وتصبير النبي
صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بما تقدم ذكره ثم اخذ في
ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنها
الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير
مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم
نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا
في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما ذكرنا
عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه
الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه
التي لا تنقضي وعجائبه التي لا تنقضي والله الموفق للصواب وهو المستعان

وهو المستعان **فصل** في انشقاق القمر وحبس الشمس
قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر اخبر تبارك وتعالى بوقوع انشقاقه بلفظ
الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة
على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي
سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري
ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم
عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة
دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية
مجاهد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق
الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رأيت
الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال
كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان
سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسألوا من يأتي من بلد
آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى
السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا

الى اهل الافاق حتى نظروا ورأوا ذلك ثم لا فاخبر اهل الافاق
انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه
ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد
رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية
ابي حذيفة الارجي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم
اية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن
انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر
مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه
عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة
ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق
هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض
مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر
لجميعهم اذ لم ينقل لنا على اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم
يروه انشق ولو نقل الينا ممن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما

لما كانت علينا بحجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض
فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد
ما هو من مقابلهم من اقطار الارض او يحول بينهم وبينه سحاب
او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي
بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة
من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف
ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به
ولذلك ما يكون الكسوف القمري في البلاد واكثرهم لا يعلم به
حتى يخبر وكثيرا ما حدث الثقات بعجائب شاهدوها من انوار
ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند
احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه الشريف في حجر
علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت
اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال

والارض وذلك في الصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان رواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان
يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه
من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته
عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه
بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء
فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم
تجيء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست
عليه الشمس **فصل** في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته عليه
السلام قال المؤلف رحمه الله اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى
حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة
منهم انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه
رحمه الله بقراءتي عليه ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم حاتم
ابن محمد ثنا ابو عمر ابن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا
مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس
الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء

بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء
يده وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين
اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم ورواه ايضا
عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر
قال كم كنتم قال زهاء ثلاث مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند
السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية
حميد قلت كم كانوا قال ثمانون ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا
وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه وفي رواية
علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء
فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء
فأتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن
ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه
وقالوا ليس عندنا ماء الا في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه
وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قالوا كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة

يعني الفا وخمسمائة

اي في صحيح مسلم

قوله عزلاء بفتح العين المهملة وسكون الزاى المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها وجمعه عزالى بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة فجيم وكسرها وسكون الجيم وباء موحدة ما قدم من القرب واخلق وتعلق عليها القرب ونحوه شهاب

وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية
وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه فى حديث مسلم الطويل
فى ذكر غزوة بواط قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة
فى عزلاء شجب فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشىء
لا ادرى ما هو وقال ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين
يديه وذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم بسط يده فى الجفنة
وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما امر قال فرأيت
الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقى احد
له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى
ملأى وعن الشعبى ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى فى بعض اسفاره
باداوة ماء وقيل له ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها فى
ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها فى الماء وجعل الناس يجيئون
ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذى وفى الباب عن عمران بن
حصين ومثل هذا فى هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا
تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شىء الى تكذيبه

تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت
على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير
له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه
فصار كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير
الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك فى الموطأ
عن معاذ بن جبل رضى الله عنه فى قصة غزوة تبوك وانهم
وردوا العين بايديهم حتى اجتمع فى شىء ثم غسل رسول الله صلى
صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير
فاستقى الناس قال فى حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء ما له حس
كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى
ما ههنا قد ملئ جنانا وفى حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه
اتم فى قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروى
خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتى بدلو منها فبصق
فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم
وركابهم وفى غير هذه الروايتين فى هذه القصة من رواية ابن
شهاب فى الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع فى قعر قليب ليس فيه ماء

وهى تبض بشىء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين

وروى الناس حتى ضربوا بعطن. وعن ابي قتادة وذكر ان الناس
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره
فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث
فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل اناء معهم فخيل الي انها
كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا. وروى مثله عمران
ابن حصين. وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل
الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ممدا لاهل مؤتة
عند ما بلغه قتل الامراء. وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات
للنبي صلى الله عليه وسلم. وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء غدا
وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلثمائة. وفي كتاب مسلم
انه قال لابي قتادة احفظ على ميضأتك فانه سيكون لها نبأ
وذكر نحوه. ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه
رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها
بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله
عليه فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم
اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤوا.

فملؤوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤوه. قال عمران بن الحصين
ويخيل الي انهما لم يزدادا الا امتلاء. ثم امر فجمع للمرأة من الازواد
حتى ملأ ثوبها. وقال اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن
الله سقانا الحديث بطوله. وعن سلمة بن الاكوع قال قال نبي الله
صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة
فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة
وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة. وذكر ما اصابهم من
العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر
الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى
قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي
صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب
والحديث في هذا الباب كثير. ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما
جانسه. **فصل** ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام
ببركته ودعائه. حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري
ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا

ثنا مسلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن
جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر
وسق شعير فما زال ياكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام
بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه عليه السلام ثمانين
او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه
فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه
عليه السلام يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال
جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي
وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في
العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن عن
ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمها قال وجيء بمثل
الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء
ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك
قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل
ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله

الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى
تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا
حتى تركوا وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع وقال ابو ايوب فاكل من
طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب قال اتي النبي صلى
الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوا من غدوة حتى الليل
يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن عوف
ابن ابي بكر رضي الله عنه كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد
بطنها ثم قال وايم الله ما من الثلاثين والمائة الا وقد حز له حزة
من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل
في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن
ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة رضي
وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله
عليه وسلم في بعض غزواته فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل
بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من
التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس
باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي منه وعن ابي هريرة

ابو ايوب بدري مشهور وهو خالد بن زيد نجاري عقبي نزل عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حل على ابن عباس البصرة فقال اني اخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنك واعطاه ما اغلق عليه ولما قفل اعطاه عشرين الفا واربعين عبدا مرض في غزوة القسطنطينية فقال اذا مت فاحملوني فاذا صاففتم العدو فادفنوني تحت ارجلكم ووقع قبره عند باب القسطنطينية قبره مع سورها قال مجاهد فكانوا اذا قحطوا كشفوا عن قبره فيمطرون علي القاري رحمه الله عليه

قال أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم
حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي
مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع وعن علي بن أبي طالب رضي
قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين
منهم من يأكل قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من
طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا منه حتى
رووا وبقي كأنه لم يشرب وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين
ابتنى بزينب أمرني أن أدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ
البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه
قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون
وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا وسبعين أو اثنين وسبعين وفي
رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن القوم زهاء ثلاثمائة
وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين وضعت
كانت أكثر أم حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي
أن فاطمة طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ليتغدى معها فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة
ثم غرفت له عليه السلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وإنها

لتفيض قالت فأكلنا منها ما شاء الله وأمر النبي صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال
يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان
قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي
ومن رواية جرير ومثله في رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا
أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه
بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن
في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره
بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء
أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم
قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال أبو هريرة أصاب الناس
مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت
نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها
ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك
حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض
منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهب مني

فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق
في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان
بضع عشرة تمرة ومثله ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فا
فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح اهدي اليه
وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت
احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى
الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى
ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه
وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال
اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق
(اي كمية الشرب)
ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما
عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل
فضلتها في دلو خالد ودعا بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا و
وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح النبي
صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله

الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة وبذبح
جزور لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في رأسها ثم ادخل الناس
رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك
(اي جماعة جماعة)
وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث
انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم
حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم
ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا
الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة
عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه
وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع
فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث
هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث
هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من
التابعين ثم لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع
مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها
على ما انكر **فصل** في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها

دعوة عليه السلام حدثنا احمد بن محمد بن خلبون الشيخ الصالح فيما
اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر المهندس عن ابي القاسم البغوي
ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا محمد بن الفضيل ثنا ابو حيان التيمي
وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي
قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول
قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك
قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي
النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها
فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى
وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام
عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الاعرابي ايذن لي
اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها

لزوجها قال فاذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي
الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ
الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما فاخذ
بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير
المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان
بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما
على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا
وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال
هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل
لهن ان رسول الله يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله وقل للحجارة مثل ذلك

فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى
اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته
قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن
حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا
وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن
يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت
الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم
علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث
ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها
لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال المؤلف رحمه الله فهذا
ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن
مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة
نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها

في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم
سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت
له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ورآه حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت
تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي
نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني آية لا أبالي من كذبني بعدها
فدعا شجرة فذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه
الآية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة
مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي
فرجعت وعن الحسن انه عليه الصلاة والسلام شكى الى ربه من قومه وانهم
يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فأوحى الله اليه ان ائت وادي
كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى
انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فقال يا رب
علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر رضي الله عنه وقال فيه ارني آية
لا أبالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم

قال الاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني
رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه
وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين الجذع
ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم
ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله
ابن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة و
المطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع
النخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها
فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية
انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به
وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل
هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر
به النبي صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب

المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي بعض الروايات عن
سهل فدفن تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان
اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه
ابي فكان عنده الى ان اكلته الارضة وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني
ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه
ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه
وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك
ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة
فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع
ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون
في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا
حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ورواه
عن جابر حفص بن عبد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب
وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك
الحسن وثابت واسحاق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية

ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار
عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد وكثير بن زيد
عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل ابن ابي عن ابيه
قال المؤلف رحمه الله هذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحيح ورواه
من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره ومن
دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على
الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو
عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط
ثنا المهلب ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو احمد الزبيري ثنا اسرائيل عن
منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح
الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال
انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر
فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن
في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال
له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم
اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة
قال لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن
صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس
اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم
بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط
البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله
عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي
صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما
عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حراء
وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق
او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث
سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي

انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني
اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله
وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما قدروا
الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا
الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان
حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في
الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح
جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه
ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن
مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما
يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل
يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد
العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك
قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي وذكر القصة
ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم عليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه فصل في الايات

في الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك
ابو الحسن الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس ثنا ابو الفضل الصقلي
ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد
بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة رضي الله
عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد
ضبا فقال نبي الله قال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن
هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه
القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد
قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي
الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين
وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الا
عرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري
بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى

فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي
قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا
أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء
ما قد سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة
وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن أبي هريرة وفي بعض الطرق
عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم
يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب الجنة
وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه هذا
الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب
أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته
وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك
وذبح للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس وأنه كان صاحب القصة والمحدث
بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه كان صاحب هذه القصة
أيضا وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد وقد روى ابن وهب مثل
هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه

وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا
من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة
يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو سفيان واللات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل
هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس رضي
لما تعجب من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي
صلى الله عليه وسلم فإذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام
ضمار ولا تعجب من نفسك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو إلى الإسلام وأنت جالس فكان سبب إسلامه وعن جابر بن
عبد الله أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض
حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف
بالغنم قال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها
إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة منها حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا لأنصاري وأبو بكر وعمر ورجل
من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق
بالسجود لك منها الحديث وعن أبي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم
حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك

وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها اليه بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى

الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب للنبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه الصلوة والسلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها

ميمما وفي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن
حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن
شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى
دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي
صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث
الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها
وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في
عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلثمائة
فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع
املكها وما اريك فربطها فوجدها قد انطلقت ورواه ابن قانع
وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها
هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة
في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله
قبلته فما حرك عضوا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتحق
بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله
للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم
بلسان القوم الذين بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا

وقد جئنا بالمشهور من ذلك وما وقع في كتب الائمة **فصل**
في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له
بالنبوة حدثنا ابو الوليد بن هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه
والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا ثنا ابو علي الحافظ
قال ثنا ابو عمر الحافظ قال ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا
احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي
ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم واكل القوم وقال
ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء
وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك
الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها
فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك
فقال ما كان الله ليسلطك علي فقالوا الا نقتلها قال لا وكذلك
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه من رواية غير وهب قال فما عرض لها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني هذه الذراع قال

قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة
وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك
ذكر الخبر ابن اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن
انس رضي الله عنه انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت
اكلة خيبر تعاودني فالآن اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحاق ان
كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة وقال سحنون اجمع اهل الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا
اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر رضي الله
عنهم وفي رواية ابن عباس رضي الله عنه انه دفعها الى اولياء بشر بن
البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله الذي سحره قال
الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وقد روي عنه انه قتله وروى
البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده
وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة
اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف

واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام
يخلقه الله سبحانه في الشاة الميتة او الحجر والشجرة وحروف واصوات
يحدثها الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها
عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله
واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي
هذا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم تجعل الحياة
شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع
عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي
فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا
للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي
والحروف والاصوات والترنم ذلك الا من حي مركب على تركيب من
يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصاد
بالجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها
فما ولسانا وآلة امكنها بها الكلام وهذا لو كان لكان نقله و
الاهتمام به آكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من
اهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه
لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد

عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد
شب لم يتكلم قط فقال من انا قال رسول الله وروى جعفر بن
معيقيب رضي الله عنه رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا
جئ بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف
بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان
يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع
وعن الحسن ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية
له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة
اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان
ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي
فيهما وجدت الله تعالى خيرا لي منهما وعن انس رضي الله عنه ان
شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت
اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه
المصيبة فما برحنا الى ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وروى عن عبد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن

شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين دخلناه القبر يقول
محمد رسول الله ابو بكر الصديق وعمر الشهيد وعثمان البر الرحيم
فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ان زيد
ابن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه
بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر
عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين و
كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر
وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات اخبرنا
ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأت على غيره قال حدثنا
ابو اسحاق الحبال قال ثنا ابو محمد النحاس ثنا ابن الورد ثنا البرقي عن
ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق قال ثنا ابن شهاب
وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها
قال قالوا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد
رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت
واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على

على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن
عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن
عياض بن عمرو ابن قتادة ورواها ابو سعيد الخدرى رضى
عن قتادة وبصق عليه السلام على اثر سهم فى وجه ابى قتادة فى
يوم ذى قرد قال فما ضرب على ولا قاح وروى النسائى
عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لى
عن بصرى قال فانطلق فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل اللهم
انى اسالك واتوجه اليك بنبيى محمد نبى الرحمة يا محمد انى اتوجه
بك الى ربك ان يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى قال فرجع
وقد كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه
استسقاء فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة
من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا
يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله تعالى
وذكر العقيلى عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت
عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن
ثمانين ورمى ام كلثوم بن الحصين يوم احد فى نحره فبصق

فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرا وتفل على شجة
عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل فى عينى على رضى الله يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث عليه السلام على ضربة بساق سلمة
بن الاكوع يوم خيبر فبرات وفى رجل زيد بن معاذ رضى الله عنه
حين اصابها السيف وعلى ابن الحكم رضى الله عنه يوم الخندق اذ
انكسرت فبرا مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى على بن ابى طالب
رضى الله عنه فجعل يدعو فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه
او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل
يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته
ايضا ان حبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امراة من خثعم معها صبى به بلاء
لا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها
بسقيه ومسه به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس
وعن ابن عباس رضى الله عنه جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره
فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فسعى وانكفات القدر

على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ
لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها
من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك
فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها
القي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة اشد حياء منها

فصل في اجابة دعائه عليه السلام وهذا باب واسع جدا واجابة
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواترة
على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة
ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا حرمي
ثنا شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله انى

اني مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على
نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد
ولد ومنه دعاؤه عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال
عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله
عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي
واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل
بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا
واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته في حياته وعوارفه العظيمة اعتق
يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
ودعا عليه السلام لمعاوية رضي الله عنه بالتمكين في البلاد فنال
الخلافة ولسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان يجيب الله دعوته فما
دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فا
ستجيب له في عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا اعزة منذ
اسلم عمر رضي الله عنه واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله
عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الا
ستسقاء

فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال عليه السلام لابي
قتادة رضي الله عنه افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات
وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة وقال عليه السلام
للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان
احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى ومات وهو ابن عشرين
ومائة سنة وقيل اكثر من هذا ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس
رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان
القران ودعا عليه السلام لعبد الله بن جعفر رضي الله عنه بالبركة في صفقة يمينه
فكانت عنده خزائن من المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال ولقد
كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري رحمه الله
في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا ايضا لغرقدة
وندت له عليه السلام ناقة فجاء بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا
عليه السلام لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه ان يكفى
الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب
الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا عليه السلام لفاطمة ابنته رضي
الله عنها الله تعالى ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل
ابن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه

عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه
فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا عليه السلام على
مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا عليه السلام
على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت
لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا عليه السلام على صبي قطع
عليه صلاته ان يقطع الله سبحانه اثره فاقعد وقال لرجل رآه يأكل
بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم
يرفعها الى فيه وقال عليه السلام لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال عليه السلام لامرأة اكلك الاسد
فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع
الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم القليب ببدر
ودعا عليه السلام على الحكم بن العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند
النبي صلى الله عليه وسلم اذ رآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج
الى ان مات ودعا عليه السلام على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته
الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا
عليه بالحجارة الصد جانب الوادي وجحد رجل بيع فرس وهو الذي

شهد فيها خزيمة للنبى صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبى
صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا
تبارك له فيها فاصبحت رجلها اى رافعة وهذا الباب اكثر من ان
يحاط به فصل فى كراماته وبركاته عليه السلام وانقلاب الاعيان
له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد ثنا ابو ذر الهروى
اجازة ثنا القاضى ابو على سماعا والقاضى ابو عبد الله وغيرهما
قالوا ثنا ابو الوليد القاضى ثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم
ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة
عن انس بن مالك رضى الله عنه ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان يقطف او به
قطاف وقال غيره بطاء فلما رجع قال عليه السلام وجدنا فرسك
بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس عليه السلام جملا لجابر وكان قد اعيا
فنشط حتى كان لا يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل
الاشجعى خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها
نشاطا وباع من بطنها باثنى عشر الفا وركب صلى الله عليه وسلم
حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت
شعرات من شعره عليه السلام فى قلنسوة خالد بن الوليد رضى الله

البضر

رضى الله عنه فلم يشهد بها قتالا الا رزق وفى الصحيح عن اسماء
بنت ابى بكر رضى الله عنه انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى فيستشفى بها
وحدثنا القاضى ابو على عن شيخه ابى القاسم المأمون قال كانت عندنا
قصعة من قصاع النبى صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء
للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفارى القضيب من يد
عثمان رضى الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس فاخذته
الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب عليه السلام من فضل
وضوئه فى بئر قباء فما نزفت بعد وبزق عليه السلام فى بئر كانت فى
دار انس رضى الله عنه فلم يكن اعذب منها ومر عليه السلام على ماء فسأل
عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب واتى عليه السلام بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك
واعطى صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين رضى الله عنهما لسانه
فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكانت لام مالك عكة تهدى
فيها للنبى صلى الله عليه وسلم سمنا ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا
هى مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شئ
فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان

ربقة

وكان عليه السلام يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم الى الليل
ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان حين
كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى
اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده
الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها
النبي صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت في عامها واعطاه مثل
بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه
اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل
رضي الله عنه سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة
من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا
جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى عليه السلام
قتادة بن النعمان رضي الله عنه وصلى معه العشاء الاخرة في ليلة
مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق فانه سيضيء لك من بين
يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا
فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون
حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة
جذل حطب وقال اضرب به حتى حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد

فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن
فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال
اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه عليه السلام لعبد الله
بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا
ومنه بركته عليه السلام في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة
شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة
المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه رضي الله عنهم سقاء ماء بعد ان
اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب
وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك
فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصة عن غير
واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب
يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه
وظهره وسلت الدم من وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين
ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد
الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان

فكان يدعى الأغر. ويروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور. ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة. ووضع يده صلى الله عليه وسلم على رأس حنظلة بن حذيم وبرّك عليه فكان يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم. ونضح عليه السلام في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها. ومسح عليه السلام على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره. وروي مثله في خبر المطلب بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤوا. وأتاه رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ. وعن طاوس رحمه الله لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب المس والجنون. ومج عليه السلام في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك. وأخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم. وشكا إليه أبو هريرة رضي الله عنه النسيان فأمره أن يبسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما

نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير. وضرب في صدر جرير ابن عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم. ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما.

فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب. حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قالا أبو بكر ثنا أبو علي التستري ثنا أبو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا أبو داود ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه. ثم قال حذيفة رضي الله عنه ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا

يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته
وقال ابو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج
اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم
من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام
والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف
الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يد علي في غد يومه
وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة
والناجية منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم
في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى
ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم
خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك
والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس
بعده وقيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر

آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان
وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال صلى الله عليه وسلم ويل
للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فاري مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان امتد
في المشارق والمغارب وما بين ارض الهند الى اقصى المشرق الى بحر
طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم
يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم
لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني
الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وغيره يذهب الى انهم
اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث
آخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق
قاهرين لعدوهم حتى تاتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين
هم قال بيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه
واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات
السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل
بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه وان اشقاها
الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل

يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان ممن عاداه الخوارج و
والناصبة وطائفة ممن تنسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل
عثمان رضى الله عنه وهو يقراء فى المصحف وان الله عسى ان يلبسه
قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى
فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا وبمحاربة الزبير
لعلى وبنباح كلاب الحوءب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى
كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة رضى الله عنها عند خروجها
الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية
وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس
وقال صلى الله عليه وسلم فى قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل
النار فقتل نفسه وقال صلى الله عليه وسلم فى جماعة فيهم ابو هريرة
وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا فى النار فكان بعضهم يسأل
من بعض فكان سمرة رضى الله اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى
بالنار فاحترق فيها وقال فى حنظلة الغسيل سلوا زوجه عنه
فانى رايت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا وعجله
الحال عن تغسل قال ابو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال
الخلافة فى قريش ولن يزل هذا الامر فى قريش ما اقاموا الدين وقال

وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى ثقيف كذاب ومبير فرأوهما
الحجاج والمختار وبان مسيلمة يعقره الله تعالى وان فاطمة
رضى الله عنها اول اهله لحوقا وانذر بالردة وبان الخلافة بعده
ثلثون سنة ثم يكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن على
رضى الله عنه وقال عليه السلام ان هذا بداء نبوة ورحمة ثم يكون
رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا
وفسادا فى الامة واخبر بشان اويس القرنى وبامراء يؤخرون الصلوة
عن وقتها وسيكون فى امته ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفى حديث
آخر ثلثون دجالا كذابا احدهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله
ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون
فيكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان وقال صلى الله عليه وسلم خيركم قرنى ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتى بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال عليه السلام لا ياتى زمان الا والذى بعده شر منه
وقال هلاك امتى على يدى اغيلمة من قريش قال ابو هريرة رضى الله
عنه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر عليه السلام بظهور

بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة
الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق
لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر عليه السلام بشأن الخوارج
وصفتهم والمخدج الذى فيهم وان سيماهم التحليق وترى رعاء الغنم
رؤس الناس والحفاة والعراة يتبارون فى البنيان وان تلد الامة
ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم و
اخبر عليه السلام بالموتان الذى يكون بعد فتح بيت المقدس وما
وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة
وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت
ريح فى غزاته عليه السلام فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى
المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم فى النار
اعظم من احد قال ابو هريرة رضى الله عنه فذهب القوم يعنى ماتوا
وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم عليه السلام بالذى
غل خرزا من خرز يهود فوجدت فى رحله وبالذى غل الشملة وحيث
هى ناقته عليه السلام حين ضلت وكيف تعلقت الشجرة بخطامها
وبشأن كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين
ساره وشارطه على قتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير

عمير الى النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر صلى الله عليه
بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما
علمه غيرى وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابى بن خلف وفى عتبة
ابن ابى لهب انه يأكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال
وقال فى الحسن ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
ولسعد لعلك ان تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون
واخبر صلى الله عليه وسلم بقتل اهل موتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة
شهر او ازيد وبموت النجاشى يوم مات وهو بارضه واخبر عليه السلام
فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم
فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر صلى الله عليه وسلم ابا ذر بتطريده
كما كان ووجده فى المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال
اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده
وموته وحده واخبر عليه السلام ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن
يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين رضى الله عنه
واخرج بيده تربة وفيها مضجعه وقال فى زيد بن صوحان يسبقه
عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم

في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق
وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد
وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما
عمر رضي الله عنه البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى
والبسهما سراقة وقال عليه السلام تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد
وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة
من فرعون لقومه وقال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يقتتل
فئتان دعواهما واحدة وقال عليه السلام لعمر في سهيل بن عمرو
عسى ان يقوم مقاما بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي
صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم
وقال عليه السلام لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر
فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام
الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار
المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته
حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم

الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي
في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا
باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها
رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال عليه السلام ووصفه
لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت
من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها
فكان ذلك كله كما قال عليه السلام الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم
تات بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عليه السلام عمران بيت المقدس
خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن
اشراط الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار
والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا
مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي
ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة والله المستعان

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى
والله يعصمك من الناس وقال عز وجل واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
وقال الله تعالى اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين
وقيل غير هذا وقال تعالى انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك

واذ يمكر بك الذين كفروا الآية. اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي
قراءة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا ثنا
ابو الحسن الصيرفي قال ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا ابو العباس
المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث
ابن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة رضي الله
عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه
الآية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه
شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال
الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى
سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في الصحيح
وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه
وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد
حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد عليه السلام
من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله و
وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه

اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين
اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال
اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط
السيف من يدي فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت الآية يا ايها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية
وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك
بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا
سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة
زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل
في قصته غير هذا وقيل فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما
نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن
حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطؤها كثيبا اهيل وذكر ابن
اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله
سبحانه مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة

ولما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر فاخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه
صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني
والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه . وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا . ما
ظننا انه بقي بتهامة احد . فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته
ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت
الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه تواعدت
انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا
منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة الى قوله فهل ترى لهم
من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال النجو وفرا هاربين فكان
من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه ومنه العبرة المشهورة والكفاية
التامة عندما اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم
من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله تعالى على ابصارهم وذرى
التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما
هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت التي نسج عليه حتى قال امية
بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت
ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت

فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته عليه
السلام مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش
فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه
دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم فرسه فخر عنها و
واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت فقال للنبي
صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية
الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوايمها مثل الدخان فناداه
بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل
ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك
احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال
لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد
قريشا ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع
وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحاق
وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه
فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه

ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد
مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر
انه عرض له دونه فحل ما رأيت مثله قط هم ان يأكلني فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك جبرئيل عليه السلام لو دنا لأخذه وذكر
السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله
فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله
فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين
نزل قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين ومن ذلك
ما ذكره ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس
الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه
رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم
بقصتهم وقيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه عليه السلام
خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن
امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر
حيي معهم على قتله فاعلم جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك

بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير
معنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا
يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه
فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل
فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي
فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال
صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا
ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى ان
رآه استغنى الى آخر السورة ويروى ان رجلا يعرف بشيبة بن عثمان
الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل اباه وعمه فقال
اليوم ادرك ثأري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق
فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده
على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي
فقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي
ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه صلى الله عليه وسلم وعن
فضالة بن عمير اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو

وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت
تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على
صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي
منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا
على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه
محمد فاضربه أنت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله
ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته له
تعالى أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش و
أخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى
بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم **فصل** ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى
له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح
الدين والدنيا ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة
عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء
والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمنه
وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وأنبائهم وأيام الله
فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم

وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة
كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها ومخبآت
علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء على لغات
العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
بأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها
إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم
للغامض والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع التي لا تناقض
فيها ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا إلا
من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية إذا سمع ما يدعو
إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه
ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به أنفسهم
وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار
آجلا مما لا يعلم ولا يقوم به ولا يبعضه إلا من مارس الدرس والعكوف
على الكتب ومثافنة بعض هذا إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون
المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك
من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها

فيها قدوة وأصولاً في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لأول عابر
وهو على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها
الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله إذا تقارب الزمان
لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله أصل كل داء البردة وما روي عنه
في حديث أبي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة
وإن كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه
الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة
والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين
وفي العود الهندي سبعة أشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا
من بطن إلى قوله فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس وقوله وقد سئل عن سبإ أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال
رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة الحديث بطوله و
كذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها
بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب
ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها
وهمدان غاربها وذروتها وقوله إن الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والأرض وقوله في الحوض زواياه سواء وفي

وفي حديث الذكر وأن الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على
اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم
موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله
أو الأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على أذنك
فإنه أذكر للمملي هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب و
لكنه أوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي
يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له ألق
الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله
ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وإن لم تصح الرواية أنه عليه السلام
كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة وأما علمه
عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور
قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم
كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر
الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث أبي هريرة أشكنب درد أي وجع
البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به

ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرا ولا
عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا قراءة
لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت
غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما
حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم
ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في
دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد
الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه
اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول
الكثير من القران وظهور ما لا ينعد من الايات واما الرومي
فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف
في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند
المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد

وقد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه
وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان
او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه بين
اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل
ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف منهم بمعرفة شيء
من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه
وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به
ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان
يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل
بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج
عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل
فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه
عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم و
واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان
مجيء ما اتى به في معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة
ومجليا لكل امر **فصل** ومن خصايصه عليه السلام وكراماته وباهر

ايآته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة
الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه
فان الله هو مولاه وجبريل الآية وقال اذ يوحى ربك الى الملائكة
انى معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
انى ممدكم الآيتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصى الفقيه سماعى عليه ثنا ابو
الليث السمرقندى وقال ثنا عبد الغافر الفارسى ثنا ابو احمد الجلودى
ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابى ثنا شعبة
عن سليمان الشيبانى سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى
من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح
والخبر فى محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة
وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور
وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه فى مواطن مختلفة فرأى اصحابه
جبريل عليه السلام فى صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان
ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل فى صورة دحية و
رأى سعد بن وقاص على يمينه ويساره جبريل وميكائيل فى صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر

زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من
الكفار ولا يرون الضارب ورأى ابو سفيان بن الحارث يوم بدر
رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شئ
وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى النبى صلى
الله عليه وسلم حمزة جبريل فى الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى
عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال
الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية
ملك على صورته فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم
يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر
غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال بينا انا جالس
مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى فسلم على النبى
صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا
هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقى نوحا ومن بعده
فى حديث طويل وان النبى صلى الله عليه وسلم علمه سورا من
القرآن وذكر الواقدى قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التى
خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبى صلى
الله عليه وسلم فقال تلك العزى وقال صلى الله عليه وسلم ان

ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله
منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى
تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا وهذا باب
واسع **فصل** ومن دلائل نبوته عليه السلام وعلامات رسالته
ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب
من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين
كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين من شعر
تبع والاوس بن حارثة وشبهه وكعب بن لوي وسفيان بن مجاشع
وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف
من امر زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري
وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره
وما الفي من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء و
بينوه ونقله عنهم ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية
وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود
وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف
الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف

واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف
بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصرانية ورئيساهم ومقوقس
صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه و
كعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله
الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة
لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من
صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك
صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم
الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء
ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره
اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال
وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر
الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر
وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد
ابن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر
على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من
هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد

وان تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وتقدم شرح ذلك كله بما فيه الكفاية شهاب

من اجواف الصور. وما وجد اسم النبي صلى الله عليه وسلم و
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة. والقبور بالخط
القديم ما اكثره مشهور. واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور.

فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده. وما حكته امه
ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا
ببصره الى السماء. وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته.
وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم. وظهور النور
عند ولادته حتى ما تنظر الا النور. وقول الشفاء ام عبد الرحمن
ابن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول
رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور
الروم. وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته. ودرور لبنها
ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته. وما جرى
من العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته.
وغيض بحيرة طبرية. وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم
تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير شبعوا
ورووا فاذا غاب عنهم فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد
ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا

دهينا كحيلا. قالت ام ايمن حاضنته ما رأيته عليه السلام شكى
جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا. ومن ذلك حراسة السماء
بالشهب. وقطع رصد الشياطين. ومنعهم استراق السمع وما نشأ
عليه من بغض الاصنام. والعفة عن امور الجاهلية. وما خصه
الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة
اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة. وتعرى فسقط
الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت
عن التعري. ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية
ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت
ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره
وقد روي ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك
عن اخيه من الرضاعة. ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم نزل في
اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها
واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه
وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه
كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب
كان لا يقع على جسده ولا ثيابه. ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى

اوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة
وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة و
تخيير الله له تعالى عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة
من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده وعلى ما رويناه
في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله
ونداءهم الذي سمعوه ان لا ينزعوا عنه القميص عند غسله وما
روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على
على اصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر رضي
بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل** قال المؤلف رحمه الله
قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات
نبوته مقنعة في واحدة منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير مما
ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد
ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه
مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا
للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى ان يكون ديوانا جامعا
يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر
من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي

نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه
بعض الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات
من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها
كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر واية في قدرها وذهب بعضهم الى ان
كل اية منه كيف كانت معجزة وذهب آخرون الى ان كل جملة منتظمة
منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله
تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا
من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات
نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد
كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القران على نسبة
عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد
منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق
نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزان فتضاعف
العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم
الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن
اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فيتضاعف العدد كرة

كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب تضعيف
هذا في حق القرآن فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر
براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلام
في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحواً من
من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته عليه السلام فان معجزات الرسل
كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما
كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى
عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها
ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك
زمن عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله
فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر
معجزات الانبياء ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر
والكهانة فانزل الله عز وجل عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول
من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم
الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا

ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن
والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف
المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل
الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً ثم اجتثها من اصلها برجم
الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة
وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ
لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز
فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول
الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة بينة
الحجة لكل امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل
وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر
عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما
اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان
والمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمأنينة الى عين اليقين
منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقاً وسائر معجزات
الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا

ولا تضمحل ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا به
القاضي الشهيد أبو علي ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر الهروي ثنا
أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري
ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي
من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أو
حاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث
عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله وذهب غير واحد
من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فإن غيرها من معجزات
الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على
الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله
الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل
فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من المعجزات كما لا يتم لشاعر
ولا خطيب أن يكون شاعرا ولا خطيبا بضرب من الحيل والتمويه
والتأويل الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني

الثاني ما يغض الجفن عليه ويغضي وجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا
عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس
مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم
ولا يقدرهم عليها بعده وبين هذين المذهبين فرق بين وعليهما
جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس
مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغير
الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز
والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول
عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى
هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا أبلغ
من خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية و
نحوه فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص
صاحبه بمزيد معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد
ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق المئين من السنين
بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر
الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة

ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم
عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام
لكان ذلك من اظهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب
عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها
وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم
وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل
بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم
وعبدوا المسيح مع اجماعهم على اجماعهم على صلبه وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة
للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى
واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها
اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله
زلفى ومنهم من آمن بالله ووحده من قبل الرسول صلى الله عليه
وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله

الله تعالى فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة
معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها
في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم وابناءهم في
نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج
ولا احتيج اليه وحققنا فقد قدمنا من بيان معجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه
المسالك وظهورها ان شاء الله وبالله استعين القسم الثاني
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه افضل الصلوة والسلام
قال الفقيه الامام القاضي رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره
وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم
الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع
سنته صلى الله عليه وسلم قال المؤلف رحمه الله اذا تقرر
ما قدمناه من ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به و
تصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله و
والنور الذي انزلنا وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا

ونذير لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الآية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب
متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا
ابو محمد الخشني الفقيه بقرائتي عليه ثنا الامام ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا ابو
الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء
ابن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي
وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله تعالى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والايمان
به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في
جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك
شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب
والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له
كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد

وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام اذ قال اخبرني عن الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به
محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان
وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان
دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم
وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم
ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في
الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم وألحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل
من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا
المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه
من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا
بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم
ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق بين القول والعقد ما جعل

في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان.
وبقيت حالتان اخريان بين هذين احدهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم
قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه. فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام
الايمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة
لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب. وهذا مؤمن بقلبه غير
عاص. ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه. الثانية
ان يصدق بقلبه. ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق
بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا
فقيل هو مؤمن لانه مصدق. والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها
غير مخلد. وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء
عقد والتزام ايمان. وهي مرتبطة مع العقد. ولا يتم التصديق
مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذة تفضي الى متسع
من الكلام في الاسلام والايمان. وابوابهما في الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة. وانما يرجع الى
ما زاد عليه من عمل وقد يعرض فيه لاختلاف صفاته. وتباين حالاته
من قوة يقين. وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور

وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف. وفيما ذكرنا
غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى **فصل** واما وجوب طاعته فاذا
وجب الايمان به. وتصديقه فيما جاء به. وجبت طاعته لان ذلك
مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله. وقال
قل اطيعوا واطيعوا الرسول. وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون. وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال
ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية. وما ارسلنا من رسول الا
ليطاع باذن الله فجعل طاعة رسوله طاعته. وقرن طاعته بطاعته
ووعد على ذلك بجزيل الثواب. واوعد على مخالفته بسوء العقاب.
واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة
الرسول في التزام سنته. والتسليم لما جاء به. وقالوا وما ارسل الله
من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه. وقالوا من يطع الرسول
في سنته يطع الله في فرائضه. وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام
فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في
فرائضه والرسول في سنته. وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية. والنبي بالشهادة

له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد
ثنا ابو الحسن علي ابن محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف
ثنا البخاري ثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا يونس عن الزهري اخبرني
ابو سلمة ابن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه يقول ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته
فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن
الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا
ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم
التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا
امرتكم بامر فأتوا ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا
ومن يأبى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث
الآخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل
رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان
فالنجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم

مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فاهلكهم فاجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به من الحق
وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث
داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة فالدار الجنة و
الداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى
محمدا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس

فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد
قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم وقال سبحانه فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم
واستسلم واسلم اذا انقاد وقال عز وجل لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية وقال محمد علي الترمذي
الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول
او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه
وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة
فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله

ارسله بالهدى ودين الحق يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم. ووصفهم محبة تعالى في الاية الاخرى وغفرته اذا
اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم. وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه. وروي عن الحسن
ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله الاية. وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله
الاية. وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه
بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال ان
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصي الاله
وانت تظهر حبه. هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا
لاطعته. ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه له
وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى
مدحه وثنائه عليه. قال القشيري فاذا كان الحب بمعنى الرحمة والارادة
والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد
غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال

بضم الخاء المعجمة وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعي بفتح الكاف واللام والالف
وعين نسبة الى كلاع بزنة سحاب
بلدة بالاندلس
شهاب

ثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن
مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا ثنا حاتم بن محمد قال ثنا ابو حفص الجهني
ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا
الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن
عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة
النبي صلى الله عليه وسلم. اثر قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور
فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه
وكل ضلالة في النار. وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه وسلم
لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او
نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي
حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني
لاعلمهم بالله واشدهم له خشية. وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي

وحدثني حسن الدنيا والاخرة امرت امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا
امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو
مني فمن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير
الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك
فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن
بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك
بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي
عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائيل
افترقوا على اثنين وسبعين فرقة وان امتي تفترق على ثلث
وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال
الذي انا اليوم عليه واصحابي وعن انس رضي الله عنه قال عليه السلام
من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف
المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث اعلم يا

من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل
من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة
لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك
من اوزار الناس فصل واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع
سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد
الرحمن بن ابي تليد الفقيه بما قرأته عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن
نصر ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح ثنا
يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه
سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف
وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن
اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما
نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وولاة الامر من بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب
الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا
تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد و
من انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه
الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن

عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة • وقال ابن شهاب بلغنا
عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة • وكتب عمر بن الخطاب
بتعلم السنة والفرايض واللحن اي اللغة • وقال ان ناسا يجادلونكم بغير
بالقرآن فخذوهم بالسنة فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله • وفي خبر حين
صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصنع • وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس
عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقول احد من الناس • وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني
اعمل بكتاب الله • وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت • وكان
ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة •
وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر • وقال ابي
ابن كعب عليكم بالسبيل والسنة • فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله
ابدا • وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه
فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها فهي
كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها • الا حط الله عنه
خطاياه كما تحاتت عن الشجرة ورقها • فان اقتصادا في سبيل وسنة

وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة • وانظروا اعمالكم ان
كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء • وسنتهم • وكتب بعض
عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده • وكثرة لصوصه بل يأخذهم با
بالظنة او يحملهم على البينة • وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر
خذهم بالبينة • وما جرت السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله • و
وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال الشافعي
ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • الا اتباعها • وقال عمر ونظر
الى الحجر الاسود والله انك حجر لا تضر ولا تنفع • ولولا اني رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله • وروي عبد الله بن عمر
يدير ناقة في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته • وقال ابو عثمان الحيري من امر
السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة • ومن امر الهوى على نفسه
نطق بالبدعة • وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة • الاقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم • في الاخلاق • والافعال • والاكل من الحلال •
واخلاص النية في جميع الاعمال • وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل
الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم • وحكى ان

وحكى ان احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل

فصل ومخالفة امره عليه السلام وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله تعالى عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال جل وعز ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله ابن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن ابي سليمان ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال

وقال عليه السلام من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية وكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقها صلى الله عليه وسلم اذ قرع تعالى من كان ماله وولده واهله احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه

وهو مما قرأته على غير واحد قالوا ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا
ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد
ابن اسمعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين. وعن ابي هريرة نحوه. وعن
انس عنه صلى الله عليه وسلم. ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله
وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار. وعن عمر بن الخطاب
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم. لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي
بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم. لن يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي
التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم. الآن يا عمر قال سهل من لم
ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال. ويرى نفسه في
ملكه عليه الصلوة والسلام. لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته
عليه السلام حدثنا ابو محمد بن عتاب بقرائتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن
محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف

يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة
عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال
متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من
كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة. ولكني احب الله ورسوله. قال انت مع
من احببت وعن صفوان بن قدامة قال هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت
يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي
صلى الله عليه وسلم. عبد الله بن مسعود. وابو موسى. وانس. وعن ابي ذر
بمعناه. وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم. اخذ بيد حسن وحسين فقال
من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة.
وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال يا رسول الله لانت
احب الي من اهلي ومالي. واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني
ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين.
وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى. ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين. والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا. فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقرأها عليه
وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف

فقال له ما بالك قال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم
القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية • وفي حديث انس من
احبني كان معي في الجنة **فصل** فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم
النبي صلى الله عليه وسلم • وشوقهم له ثنا القاضي الشهيد ثنا العذري
ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد
الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم • قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني
باهله وماله • ومثله عن ابي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى
الله عليه وسلم • لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله
وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا
وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين
والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي
اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم • وروي عن ابي بكر رضي الله عنه
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان
اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب
كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس ان تسلم احب الي

من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم • وعن ابن اسحاق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها
يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقالت ما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم • قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين • قالت ارونيه
حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل • وسئل علي بن
ابي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن
الماء البارد على الظمأ • وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى
مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة
الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار • قد كنت قواما بكا بالاسحار
يا ليت شعري والمنايا اطوار • هل تجمعني وحبيبي الدار • تعني النبي
صلى الله عليه وسلم • فجلس عمر يبكي • وفي الحكاية طول • وروي ان
عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك
فصاح يا محمداه فانتشرت • ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال
واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه • وروي ان امرأة قالت لعائشة
رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم • فكشفته لها
فبكت حتى ماتت • ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه

قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمداً الان
عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما
احب ان محمداً الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني
جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احداً يحب احداً
كحب اصحاب محمد محمداً صلى الله عليه وسلم • وعن ابن عباس كانت
المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم • حلفها بالله ما خرجت من
بغض زوج ولا رغبة عنه بارض عن ارض وما خرجت الا حب الله
ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال
كنت والله ما علمت صواماً قواماً تحب الله ورسوله فصل في علامة
محبته صلى الله عليه وسلم • قال المؤلف رحمه الله اعلم ان من احب شيئاً
اثره واثر موافقته والا لم يكن صادقاً في حبه • وكان مدعياً فالصادق
في حب النبي صلى الله عليه وسلم • من تظهر علامات ذلك عليه واولها
الاقتداء والاستعمال بسنته • واتباع اقواله وافعاله • وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه • والتادب بادابه في عسره ويسره ومنشطه و مكرهه
وشاهد هذا قوله سبحانه وتعالى • قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه • وموافقة شهوته قال
الله تعالى • والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر

اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة • واسخاط العباد في رضاء الله تعالى
حدثنا الحافظ ثنا ابو الحسن الصيرفي وابو الفضل بن خيرون • قالا
ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى
ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن علي بن زيد عن
سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم • يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك
غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي • ومن احب سنتي
فقد احبني • ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة
فهو كامل المحبة لله ورسوله • ومن خالفها في بعض هذه الامور
فهو ناقص المحبة • ولا يخرج عن اسمها • ودليله قوله صلى الله عليه
وسلم • للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم • وقال ما اكثر ما يؤتى به
فقال صلى الله عليه وسلم • لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله
ومن علامة محبة النبي صلى الله عليه وسلم • كثرة ذكره له فمن
احب شيئاً اكثر ذكره • ومنها كثرة شوقه الى لقائه • فكل حبيب يحب
لقاء حبيبه • وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم
كانوا يرتجزون • غداً نلقى الاحبة محمداً وصحبه • وتقدم قول

الحاصل ان بعضهم كانت المحبة غالبة عليهم وبعضهم كانت المخافة
المخافة ظاهرة لديهم وهما مقامان شريفان لطائفتين
من الصوفية لكن مقام المحبة والرجاء افضل
من مقام الخوف والهيبة.
علي القاري رحمه الله

بلال ومثله قال عمار قبل قتله. وما ذكرناه من قصة خالد بن
معدان ومن علامته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره
واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه. قال اسحاق التجيبي كان
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا و
اقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل
ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا.
ومحبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم. ومن هو بسببه من آل
بيته. وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم و
بغض من ابغضهم وسبهم ومن احب شيئا احب من يحبه وقد قال
صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي
رواية في الحسن فاحب من يحبه. وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني
فقد احب الله. وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن
احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال
في فاطمة رضي الله عنها انها بضعة مني يغضبني ما يغضبها وقال
لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه. وقال آية الايمان
حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب

ومن ابغضهما فقد ابغضني
ومن ابغضني فقد ابغض
الله

قال المؤلف العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه. وهذه سيرة السلف
حتى في المباحات وشهوات النفس. وقد قال انس حين رأى النبي صلى الله
عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من
يومئذ. وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى
وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم. وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى
النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك. ومنها بغض من ابغض الله
ورسوله. ومعاداة من عاداه. ومجانبة من خالف سنته. وابتدع
في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته. قال الله تعالى لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله.
وهؤلاء اصحابه عليهم السلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم
في مرضاته. وقال له عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه
ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به صلى الله عليه وسلم وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن. وحبه للقرآن
تلاوته والعمل به وتفهمه. ويحب سنته. ويقف عند حدودها.
قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله

وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وحب السنة حب
الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا
ان لا يدخر منها الا زادا ويبلغه الى الآخرة وقال ابن مسعود لا
يسأل احد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله
ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه
لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان صلى الله عليه
وسلم بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته صلى الله عليه
زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه
السلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل
من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال
انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني
فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه **فصل**
في معنى المحبة صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في
تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت
عباراتهم في ذلك فليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال و
ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام

عليه السلام كأنه التفت الى قوله تعالى قل ان تحبون الله فا
فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول عليه الصلاة والسلام
اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته
وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال
بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب
لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى
موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون
حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون
موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات
الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع
سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة قلبه
وعقله معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل
المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان
طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب
بقوم لقوم والتشيع من امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن
الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته
له من جهة احسانه وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من

من حسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرنا الى هذه الاسباب كلها
في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمنا انه صلى الله عليه وسلم
جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة اما الجمال الصورة
والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما
من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته
فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته
لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم من النار وانه
بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا و
داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم اياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان
اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال
اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان
ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح و
الكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد
لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك
انه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه
من صحيح الاثار وعادة وجبلة لما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان

الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه
في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة
قرة لتأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه
ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك
لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاص بعيد الدار
لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب
الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته
عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه احبه وذكرنا عن بعض
الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا
نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية
ثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن
عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا احمد
ابن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن
تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة

ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال
لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال الائمة
النصيحة لله ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام
ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح
له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة
الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن
ابو اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة
ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثياب وقال ابو اسحاق
الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه
والبعد عن مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه
الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم
وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن
الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته
وبذل الطاعة فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر
وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب
والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة

الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض
عليها والدعوة الى الله سبحانه والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل
بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره والنصح
له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح
اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع و
الطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله
الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال
وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته
ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها
وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه
وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى
ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو
القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير
الثوار المعروف بالصفار روي في النوم فقيل له ما فعل الله بك

فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوماً فاشرفت
على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح
لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم
اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور
المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم
والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم
ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم
وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم **الباب الثالث**
في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الثلاث الايات وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضاً فاوجب تعالى تعزيزه وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه
قال ابن عباس رضي الله عنه تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه

تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهي عن التقدم بين يديه
بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو
اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال
فانصتوا له واستمعوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل
قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال وغيره من امر دينهم
الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك
والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال
واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم
وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم
عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضاً
باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب
ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه
ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا
كقوله تعالى في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضاً على احد التاويلين قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل

قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل
ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الاولى في محاورة
كانت بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت
في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة
بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية
اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله واتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول
وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي
ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله
لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر رضي الله عنه كان اذا
حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من

من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون في غير بني تميم نادوه باسمه
وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد يا محمد فقلنا له اغضض
من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت
في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا
له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه
الا برعايته لهم بل حقه صلى الله عليه وسلم ان يرعى على كل حال وقيل
كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون
عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبيه بهم في قولها لمشاركة اللفظ
وقيل غير هذا والله اعلم **فصل** في عادة الصحابة في تعظيمه صلى الله
عليه وسلم وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو
بحر الاسدي سماعا عليهما في آخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر ثنا
احمد بن الحسين ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم
ثنا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور ثنا الضحاك بن
مخلد انا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري
قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان

احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني
منه وما كنت اطيق املا عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه
ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار
وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنه فانهما كانا ينظران اليه
وهو ينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير
وفي حديث صفته صلى الله عليه وسلم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام
القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه له
ما راى وانه لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه
ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها
وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم
بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه
النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى
في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت ملكا
في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه

فلا يرفع احد منهم بصره اليه الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما

اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن
انس رضي الله عنه لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن
هذا لما اذنت قريش لعثمان رضي الله عنه في الطواف بالبيت حين
وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت
لافعل حتى يطوف به صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة رضي الله عنه
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله
عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فساله فاعرض عنه اذ طلع
طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي
حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا
ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن
عازب لقد كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر
فاؤخره سنين من هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه
بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره
صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة
آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل

مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن
من حركته ويأخذ من هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين
يديه ويتأدب بما أدبنا الله به سبحانه قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم
ثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وأبو القاسم أحمد
بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا أنا أبو العباس أحمد بن عمر بن
دلهاث قال نا أبو الحسن علي بن فهر نا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج ثنا
أبو الحسن عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل ثنا
ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له مالك رضي يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك
في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قوماً فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي الآية ومدح قوماً فقال إن الذين يغضون أصواتهم عند
رسول الله الآية وذم قوماً فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات
أكثرهم لا يعقلون الآية وحرمته ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو
جعفر وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيمة بل استقبله

بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو
أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية وقال مالك رضي الله عنه وقد سئل عن أيوب
السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين
فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم
كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له
يوماً في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت
أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبداً
إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم
فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت
أراه إلا على ثلاث خصال إما مصلياً وإما صامتاً وإما يقرأ القرآن
ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله
تعالى ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر إلى لونه كأنه نزفت منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولقد رأيت عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر

عند النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد
رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد اتى صفوان
بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة
انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك
الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا
سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي
صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديث
النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه
ما يجب له عند سماع قوله **فصل** في سيرة السلف في تعظيم رواية
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته نا الحسين بن محمد
الحافظ نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو
الحسن الدارقطني نا علي بن مبشر نا احمد بن سنان القطان
نا يزيد بن هارون نا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون

ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر
عن جبينه ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او
قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال
اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب
فساله عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه فقال له الرجل وددت
انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك
فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب
كان مالك بن انس رحمه الله لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن
محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث

قال مصعب فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم. قال مطرف كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية
فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا
المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل و
تطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه
رداءه وتلقى له منصة فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع.
ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم. قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن أبي أويس وقيل لمالك في ذلك
فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا
أحدث به إلا على طهارة متمكنا. وقال كان يكره أن يحدث في الطريق
أو وهو قائم مستعجل. وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم. قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء
ونحوه عن قتادة. وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء
تيمم. وكان قتادة لا يحدث إلا على طهارة. ولا يقرأ حديث النبي صلى
صلى الله عليه وسلم. إلا وهو على وضوء. قال عبد الله بن المبارك
رحمه الله كنت عند مالك رح وهو يحدثنا فلدغته عقرب

ست عشر مرات. وهو يتغير لونه. ويصفر. ولا يقطع حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم. فلما فرغ من المجلس. وتفرق الناس قلت له
يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا. قال نعم إنما صبرت إجلالا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن مهدي مشيت يوما
مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني. وقال لي كنت
في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونحن
نمشي. وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر
بحبسه فقيل له إنه قاض قال القاضي أحق من أدب. وذكر أن هشام
ابن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا
ثم أشفق له فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني
سياطا. ويزيدني حديثا. قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث
لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران وكان قتادة يستحب أن لا تقرأ
أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. إلا على وضوء. ولا يحدث إلا على
طهارة **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه وسلم. وبره بر آله.
وذريته. وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض صلى الله عليه وسلم.
وسلكه السلف الصالحون رضي الله عنهم قال الله عز وجل إنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. وقال الله تعالى

وازواجه امهاتهم. اخبر انا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت
من اصله نا الشيخ ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم
بنت الشيخ ابي بكر حدثني ابي نا حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى سعيد بن
اسماعيل نا يحيى هو الحماني نا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن
يزيد بن ارقم. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. انشدكم الله
حيان عن زيد بن ارقم
واهل بيتي ثلاثا. قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل
عقيل وآل العباس. وقال صلى الله عليه وسلم. اني تارك فيكم ما
ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله. وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف
تخلفوني فيهما. وقال صلى الله عليه وسلم. معرفة آل محمد براءة من النار
وحب آل محمد جواز على الصراط. والولاية لآل محمد امان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم
واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه. وعن عمر بن ابي
سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية
وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهما
بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا. وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا

وحسينا وفاطمة. وقال اللهم هؤلاء اهلي. وقال النبي
صلى الله عليه وسلم. في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه. وقال صلى الله عليه وسلم. فيه لا يحبك
الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق. وقال العباس رضي الله عنه والذي
نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله. ومن آذى
عمي فقد آذاني وانما عم الرجل صنو ابيه. وقال صلى الله عليه وسلم للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءة. وقال هذا عمي وصنو ابي
وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب
وحوائط البيت آمين آمين. وكان صلى الله عليه وسلم. ياخذ اسامة بن
زيد والحسن رضي الله عنهما. ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما. وقال
ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته. وقال ايضا والذي نفسي
بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. احب الي ان اصل من قرابتي
وقال صلى الله عليه وسلم. احب الله من احب حسنا وحسينا. وقال
صلى الله عليه وسلم. من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين
واباهما وامهما. كان معي في درجتي يوم القيامة. وقال صلى الله عليه
وسلم. من اهان قريشا اهانه الله. وقال صلى الله قدموا قريشا. ولا
تقدموها. وقال صلى الله عليه وسلم. لام سلمة لا تؤذيني في عائشة

وعن عقبة بن الحارث رأيت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن
على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيها
بعلي وعلي يضحك وروى عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت
عمر بن عبد العزيز رحمه الله في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة
فارسل الي واكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي رح
قال صلى زيد بن ثابت رضي على جنازة ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء
ابن عباس رضي الله عنه فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل
زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا
صلى الله عليه وسلم ورأى ابن عمر رضي محمد بن اسامة بن زيد فقال
ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه
ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاحبه وقال الاوزاعي رحمه الله دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين
يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين
يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب

الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة
ابن زيد في ثلاثة الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته
فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية رضي الله عنه ان كابس
ابن ربيعة يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من
باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب
لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه
لما ضرب جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه
الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك
فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل
بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال اعوذ بالله
والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش رضي الله عنه
لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب
الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس رضي الله عنه ماتت فلانة لبعض ازواج النبي

صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال أليس
قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم اية فاسجدوا واي اية
اعظم من ذهاب ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
وعمر رضي يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية
على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي
صلى الله عليه وسلم وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا مثل ذلك

فصل ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم
والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار
المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة
في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من
الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك
ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمض عليه امر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم
وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم واذا
ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال تعالى والسابقون الاولون

الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال تعالى لقد رضي
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي نا ابو الحسين وابو
الفضل قالا نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا الترمذي نا الحسن بن الصباح
نا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن
حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا
باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام
الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال صلى الله عليه وسلم
من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر رضي
ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين

وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا

واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي
وفي اصحابي كلهم خير وقال صلى الله عليه وسلم من احب عمر فقد احبني
ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس وغيره ومن ابغض الصحابة
وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم
الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم
الكفار وقال عبد الله بن المبارك رضي خصلتان من كانتا فيه نجا
الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن
احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة
الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ
من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة و
السلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم
جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا ذلك
ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن طلحة والزبير
وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا ذلك لهم ايها الناس ان الله
قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي

اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها
مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين
عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى
الله صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه
على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه
وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم في الانصار
اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني
في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه
وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم
القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي ورد علي
الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من
بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب
الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف
الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله
سبحانه وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة
من عاداهم وروى عن كعب رحمه الله ليس احد من اصحاب محمد صلى الله

صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة. وطلب من المغيرة بن
نوفل ان يشفع له يوم القيمة. قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن
بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره. فصل
ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته
من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم او عرف به
وروى عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في
مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها
فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه شعرات من شعره صلى
الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة
انكر عليه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم
افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا
اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين. وروي ابن عمر رضي الله عنه واضعا يده
على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه. ولهذا
كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة. وكان يقول استحيي من الله ان
اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة. وروي انه رحمه الله
وهب للشافعي رحمه الله كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها

منها دابة فاجابه رحمه الله بمثل هذا الجواب. وقد حكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال
ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه
اخذ القوس بيده. وقد افتى مالك رحمه الله فيمن قال تربة المدينة ردية
بضربه ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر. وقال ما احوجه الى ضرب
عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة.
وفي الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا
او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا. وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي
صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته
فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول.
وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من
النار. وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب
من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا.
لعرفان الرسوم ولا لبا. نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة. لمن بان عنه ان
نلم به ركبا. وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم جعل يقول متمثلا. رفع الحجاب لنا فلاح لناظر.

قد تقطع دونه الاوهام. واذا المطي بنا بلغن محمداً. فظهورهن
على الرجال حرام. قربننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام.
وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق
يأتي الى بيت مولاه راكبا. لو قدرت ان امشي على رأسي ما مشيت على قدمي
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل
وتردد بها جبرائيل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت
عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر
وانتشر عنها من دين الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما انتشر
مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد
البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف
سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض
عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى
ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها.

شعر
يا دار خير المرسلين ومن به ۔ هدى الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة ۔ وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملأت محاجري ۔ من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها ۔ من كثرة التقبيل والرشفات
ت لولا العوادي والاعادي زرتها ۔ ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي ۔ لقطين تلك الدار والحجرات
ازكى من المسك المفتق نفحة ۔ تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ۔ ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية. قال ابن عباس
رضي الله عنه معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان
الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الترحم
فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله سبحا
وقد روي في الحديث صفة صلاة الملائكة على من ينتظر الصلوة
اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلوة من الله
تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم
رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال
ابو العالية صلوات الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة
الدعاء. قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله عليه
في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل
انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله سبحانه به عباده فقال

فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه
وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان
يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره
وفي معنى السلام ثلاثة اوجه احدها السلامة لك ومعك وتكون
السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك
بمعنى التعوذ
ورعايتك متول له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى الثالث
ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا
يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدود بوقت لامر الله تعالى
بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه
وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الا
الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم
ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب
فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن ابن القصار المشهور
عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها
مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افرض

افرض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل
ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال
القاضي ابو محمد ابن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة
في الجملة قال القاضي ابو محمد عبد الله بن سعيد ذهب مالك واصحابه
وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض
على الجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة
واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي رحمه الله
الفرض منه الذي امر الله سبحانه به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو
في الصلوة قالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في
الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع
جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجب وشذ الشافعي في
ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد
الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه
ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه
المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف في مفعول شنعوا
فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر

يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيه على رسول الله صلى
صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك
واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم
وهو قول جل اهل العلم وحكي مالك وسفيان انها في التشهد الاخير
مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها
في الصلوة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان
وحكى ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله عن محمد بن المواز ان الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض
الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد
الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي
وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلوة
الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي
وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة
وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي
واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد
ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه و

وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من
روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر
وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير
رضي الله عنهم اجمعين لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد وقال
ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل
علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وفي حديث
وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث
ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل
فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي
جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي
صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم **فصل** في المواطن التي
تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام عليه صلى
ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل
الدعاء نا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال نا ابو القاسم البلخي
قال نا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم بن كليب عن ابي

عن ابي عيسى الحافظ قال نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن يزيد المقرئ
نا حيوة بن شريح حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره
انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله
والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء
ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض ولا يصعد
الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي
ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن
ابن مسعود رضي الله عنه اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا فليبدأ
بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم ليسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب
يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شرابه شربه او
الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه

واوسطه وآخره وقال ابن عطاء رحمه الله للدعاء اركان واجنحة
واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار
في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور
القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من
الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد
صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين لا يرد وفي حديث
آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة علي صعد الدعاء
وفي دعاء ابن عباس رضي الله عنه الذي رواه عنه حنش فقال في آخره
واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي
على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك
اجمعين آمين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه
او عند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي وكره ابن حبيب رحمه الله ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند
الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق
الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر
فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقال فيهما بعد ذكر الله سبحانه
محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية له

مع الله وقال له اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس ابن اوس
عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة
ومن مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحاق ابن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله
ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج يقول مثل ذلك
وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته
قال ابن عباس المراد بالبيوت المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد
فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب
اذا دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره
بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى

الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن
عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم
والاختلاف في الفاتحة ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلاة على الجنائز
وقد ذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها
عمل الامة ولم ينكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله في
الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند
ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا
(رحمه الله شيئ) (ما بعد الرحمن الرحيم)
الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
تشهد الصلاة ثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره
قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن
اسماعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء
والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى
مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم والنبي

قبل ان يقول اشهد ان لا اله الا الله

واستحب مالك في المبسوط ان يسلم مثل ذلك قبل السلام قال
محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند
سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان
ينوي الانسان حين سلامه على كل عبد صالح في السماء والارض من
الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم
امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلوة

والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم ثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه
بقراءتي عليه ثنا القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل ثنا ابو عبد الله
ابن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد وغيره قالوا ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله
ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي
انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك
فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري
قال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على
محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام

كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل
محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابرهيم
انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي
الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد
عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا
عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن
سعدون الفقيه ثنا ابو بكر المطوعي ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي
دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن
عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن علي بن ابي طالب قال عدهن
في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال
هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا
اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين
وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية
زيد بن خارجة الانصاري سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي
عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي
كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات
وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك
على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق
بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك
مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على
نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت
القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون
وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له
في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس

الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك
لك مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان
عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك
من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك
باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم
اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس
الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه
واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره

واشياعه وصحبته وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين
وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى
وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى
وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل
ما سألك لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك واعط
محمدا افضل ما انت مسؤل له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان
يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه
فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل
الصلوة وتكثير الثناء عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد
علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله في الصلوة والسلام السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي
التشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله

ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام
علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد
وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته جاء في الحديث عن علي رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه
بالغفران وفي حديث الصلوة عنه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت
في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره
الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة
والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن
ابي زيد رحمه الله في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا
وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يأت هذا في حديث صحيح
وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه
والدعاء له صلى الله عليه وسلم حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه
ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي انا سويد
بن نصر انا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع
عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول

والمراد لغيره صلى الله عليه وسلم غيره من
امته لا الانبياء فان من لا دعا
لا يدعى لهم بذلك ايضا وكذلك
الصحابة ينبغي ان يقال لهم
فيهم رضي الله عنهم
شهاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما
يقول وصلوا على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي
الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة. وروى انس بن مالك ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات
وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة
صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف
عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال لي اني ابشرك ان الله يقول
من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة
ومالك بن اوس بن الحدثان وعبد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب
عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي
في يوم القيامة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من

من ذلك او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر
الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت
وان زدت فهو خير لك قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير قال
النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال
اذن تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد
خرج جبريل آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك
انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة
والدرجة الرفيعة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته الا
حلت له الشفاعة يوم القيامة وعن سعد بن ابي وقاص انه قال من قال
حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له

وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا
فكانما اعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة
صلاتهم علي وفي آخر ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم
علي صلاة وعن ابي بكر رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل
من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم
واثمه ثنا القاضي الشهيد ابو علي ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا
احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق
عن سعيد ابن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف
رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده
ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما
وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين
ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك
فقال ان جبريل عليه الصلوة والسلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين
يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين

آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن
ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل الذي ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي خطئ به طريق الجنة وعن علي
ابن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان البخيل كل البخيل من
ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله عليه
وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا اسم الله ويصلوا على
النبي صلى الله عليه وسلم كانت من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء
غفر لهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه من نسي الصلوة علي نسي طريق
الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء ان اذكر عند
الرجل فلا يصلي علي وعن جابر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عنه على غير صلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم الا تفرقوا على انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه
على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما
يرون من الثواب وحكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى

صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزء عنه ما كان
في ذلك المجلس وبالله التوفيق **فصل** في تخصيصه عليه الصلوة والسلام
بتبليغ من صلى عليه او سلم من الانام ثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا
ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقري ثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد
ابن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر
ابن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام
ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه
يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت
صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم
فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنه ليس من امة
محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن
ابن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله

الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم
قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث
اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي
وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت
يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم
قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اكثروا علي من الصلوة في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤ
يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي
علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول
كذا وكذا **فصل** في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء عليهم السلام قال المؤلف رحمه الله عامة اهل العلم متفقون
على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس رضي
الله عنه انه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه
لا ينبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على
نبي ووجدت بخط بعض شيوخ مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على
احد من الانبياء سوى محمد عليه الصلوة والسلام وهذا غير معروف من
مذهبه وقد قال مالك في المبسوط ليحيى بن اسحاق اكره الصلوة على

على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست
اخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث
ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه
وفيه وعلى ازواجه وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفارسي
رحمه الله روي عن ابن عباس رضي الله عنه كراهة الصلاة على غير النبي
صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى
عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن
عباس رضي الله عنه لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعا
وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهر
تطهرهم وتزكيهم وصل عليهم الآية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل فلان ابي اوفى
وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه
وقيل امته وقيل آل بيته وقيل الاتباع هم الرهط والعشيرة وقيل آل
الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي

وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي
ويجي على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في
صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان
الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله صلى
الله عليه وسلم لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود و
في حديث ابي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وازوا
واجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى
الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وروى ابن وهب عن انس بن مالك قال كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول
اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار قال المؤلف رحمه الله والذي ذهب اليه المحققون
واميل اليه ما قال له مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن
عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على
غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص بالانبياء توقيرا لهم وتعزيزا
كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشا

ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم و
سائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشاركهم فيه سواهم كما امر الله تعالى
به لقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم
بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا
عنه وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران
وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند
الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا
فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من
ذلك وذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه
وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي
صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس
فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء
له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر
الاسفرايني من شيوخنا فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلوة والسلام
وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام

السلام وسنته من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها
روى عن ابن عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي ثنا القاضي ابو علي نا ابو الفضل بن خيرون نا الحسن
ابن جعفر نا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني نا القاضي المحاملي نا محمد
ابن عبد الرزاق نا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن
عمر فذكره وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم
القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في
معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن
الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
وقوله عليه الصلوة والسلام من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة
وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء
اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل
الجنة زيارتهم لربهم جل وعز ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى
وقال ابو عمران رحمه الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض

وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ
وان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وايضا فان الز
الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم
يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان
منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه
لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل
اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحاق بن ابراهيم
الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره
وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان
يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة
وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت
بعض من ادركت يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال
صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله

عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد
المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة
اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام
قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك
اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب
اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة
ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة
من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي
في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة
مرة واكثر يجي الى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام
على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف ورئي واضعا يده على مقعد
النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط
والعتبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا
رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي
الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه

وسلم. فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم. وعلى ابي بكر وعمر. وعند ابن
القاسم. والقعنبي. ويدعو لابي بكر وعمر. قال مالك في رواية ابن
وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في
المبسوط. ويسلم على ابي بكر وعمر. قال القاضي ابو الوليد الباجي. وعندي انه
يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر كما جاء
في حديث ابن عمر من الخلاف. وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكة على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم. ثم
اقصد الى الروضة. وهي ما بين القبر والمنبر. فاركع فيها ركعتين قبل
وقوفك بالقبر تحمد الله فيها. وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه.
وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك. وفي الروضة افضل وقد
قال صلى الله عليه وسلم. ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة.
ومنبري على ترعة من ترع الجنة. ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي
عليه صلى الله عليه وسلم. وتثني بما يحضرك. وتسلم على ابي بكر وعمر.
وتدعو لهما. واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل
والنهار. ولا تدع ان تاتي مسجد قباء. وقبور الشهداء. قال مالك في كتاب

في كتاب محمد. ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم. اذا دخل وخرج يعني
في المدينة. وفيما بين ذلك. قال محمد. واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف
بالقبر. وكذلك من خرج مسافرا. وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي
صلى الله عليه وسلم. ان النبي صلى الله عليه وسلم. قال اذا دخلت المسجد
فصل على النبي صلى الله عليه وسلم. وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك. واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم. وقل اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك. وفي رواية اخرى فليسلم مكان
فليصل فيه. ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك. وفي اخرى
اللهم احفظني من الشيطان الرجيم. وعن محمد بن سيرين كان الناس
يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله عليه وسلم. وملائكته على محمد السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا
وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك. وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله عليه وسلم. ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل
هذا. وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي. وذكر مثله. وفي رواية بسم
بسم الله والسلام على رسول الله. وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك.
وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم

وليقل اللهم افتح لي. وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد
وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء. وقال
فيه ايضا لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى
الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر. فقيل له فان ناسا
من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم
مرة او اكثر وربما وقفوا بالجمعة وفي الايام المرة والمرتين او اكثر عند
القبر فيسلمون ويدعون ساعة. فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه
ببلدنا وتركه واسع. ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني
عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك. ويكره الا لمن جاء
من سفر او اراده. قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها او
دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي. قال الباجي ففرق بين اهل المدينة
والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصد
يقصدوها من اجل القبر والتسليم. وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وقال لا تجعلوا قبري عيدا. ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر
لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا. وفي العتبية يبدأ
بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم. واحب مواضع التنفل

التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق. واما
في الفريضة فالتقدم الى الصفوف. والتنفل فيه للغرباء احب الي من
التنفل في البيوت. **فصل** فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
من الادب سوى ما قدمناه. وفضله. وفضل الصلاة فيه. وفي مسجد
مكة. وذكر قبره ومنبره. وفضل سكنى المدينة ومكة. قال الله تعالى لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه. روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا. وهو قول ابن المسيب وزيد
ابن ثابت وابن عمر ومالك ابن انس وغيرهم. وعن ابن عباس انه مسجد قباء. ثنا
هشام ابن احمد الفقيه بقراءتي عليه ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو
عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود
ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم. قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام
ومسجدي هذا والمسجد الاقصى. وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم. وقال
مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا

وهو الامام شيخ الاسلام اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل
ابن حماد بن زيد الازدي مولاهم البصري ثم البغدادي
المالكي الحافظ صاحب التصانيف
الجليلة ولد ... قاري

١٩٩

بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين
القريتين لأدبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الاصوات قال محمد بن مسلمة
لا ينبغي لأحد ان يتعمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه
عما يكره قال المؤلف رحمه الله حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه
في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم
سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
وليس مما يخص المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية
في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى وقال ابو هريرة رضي الله
عنه صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه
الا المسجد الحرام قال المؤلف رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا الا
الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك
في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث
ان الصلاة في مسجد الرسول عليه الصلوة والسلام افضل من الصلاة في
سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الف واحتجوا بما روي
عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه

سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسعمائة وعلى غيره
بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو
قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى
تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه
الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره
وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في
المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى
قتادة بمثله فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة
في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع
الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة
حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي
الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا
الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان
خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة
وغيرها حديثا نحوه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري

ومنبري على حوضي وفي آخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري
فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على ظاهره مع انه روي ما
بين بيتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن
اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان
قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره
في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه
الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر
والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة
يوجب الحوض ويوجب الشرب منه قال الباجي وقوله روضة من رياض
الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة
فيه تستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني
ان تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها قاله
الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا
او شفيعا يوم القيامة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها
وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى

وروي عنه صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا
بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من
الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وفي حديث آخر بعث
يوم القيامة من الآمنين وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي
ببكة الى قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يأمن من
الطلب من احدث حدثا والتجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ
جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا
سعدون الخولاني المنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه
النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث
حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين
ربه فاذا ادى فرضا ماله عند الله من كان له عند الله دين فليتم ومن حج ثلث
حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه
صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله
له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين

قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله ثنا ابو العباس العذري
ثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن
محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال
سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم
الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن
دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن
عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد
ابن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي
قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي
من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب من امر الاخرة قال العذري وانا فما

دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة
الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة
الا استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها
قال المؤلف رحمه الله قد ذكرنا نبذاً من هذه النكت في هذا الفصل
وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصاً على تمام
الفائدة والله الموفق للصواب برحمته **القسم الثالث** فيما يجب للنبي
صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع
او يصح من الامور البشرية ان يضاف اليه قال المؤلف رحمه الله قال
الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال ما
المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا
يأكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية
فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام من البشر ارسلوا
الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم
قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنهم مخالطتهم اذ لا يطيقون مقاومة
الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض

ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اى لا
يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله
واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء والرسل
وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده
ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه
وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف
البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت
والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من
اوصاف البشر متعلقة بالملاء الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة
من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر
ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات
البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى
فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن
مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من امتي خليلا لا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن

الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني
اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقائص
والاعتلالات وهذه جملة لن تكتفي بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج
الى بسط وتفصيل على ما يأتي بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي
ونعم الوكيل **الباب الاول** فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة
عصمة نبينا عليه الصلوة والسلام وسائر الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
قال المؤلف رحمه الله اعلم ان الطوارئ من التغيرات والافات على
احاد البشر لا تخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار
كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة
عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد
بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الافات
والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي
صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر فقد قامت البراهين القاطعة
وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير منهم من الافات
التي على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما
نأتي به من التفاصيل **فصل** في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم
من وقت نبوته قال المؤلف رحمه الله اعلم منحنا الله واياك توفيقه

ان ما تعلق بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما
اوحى الله به اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء
عن الجهل بشئ من ذلك والشك والريب فيه والعصمة من كل ما يضاد
المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح با
البراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا
بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم
عليه السلام في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب
وترك المنازعة بمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم
الثاني بكيفية ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام انما اراد
اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون
قوله تعالى اولم تؤمن اي الم تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث انه سال زيادة يقين وقوة طمانينته وان لم يكن في
الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها
وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد
الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين
اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال كشف غطاء
العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين

المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا
الوجه الخامس قال بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء
الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه اري من نفسه
الشك وما شك حقيقة لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا عليه
السلام نحن احق بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد
للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء
الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب
واذ يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق
ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما
معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك الاية فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه
بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه
وسلم فيما اوحى اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن
عباس وغيره لم يشك النبي ولم يسال ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على
هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك
الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله تعالى قل يا ايها

قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب
العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية
الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير
كما قال ابو بكر بن العلاء الا ترى يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب
فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن
فاسئل به خبيرا المامور ههنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئال النبي
عليه الصلوة والسلام هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقال ان هذا
الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب
انما هو فيما قصه الله تعالى من اخبار الامم لا فيما دعى اليه من التوحيد
والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
الاية المراد به المشركين والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم
قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتداء اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون على طريق الانكار اي
ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبياء ليلة
الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال
لا اسال قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل اسئل امم من ارسلنا هل جاؤهم

هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
والمراد بهذا والذي قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم ياذن
في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله
وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون
ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين
بدليل قوله في اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فا
فاسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما
شرفناك وعظمناك به فسئلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك
وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى
قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى
في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها
وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من
اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد

على الاتباع ولا ام لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي
وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قراءة مجاهد كذبوا بالفتح فلا
تشتغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف
بالانبياء عليهم السلام وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبدأ الوحي
من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك
فيما اتاه الله تعالى بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي الا تحتمل قوته مقاومة
الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح
انه قاله بعد لقاء الملك او يكون ذلك قبل لقاية الملك واعلام الله تعالى
له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته
المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان
اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تانيسا له صلى الله عليه وسلم
لئلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية
وفي الصحيح عن عايشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه
الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى
شيئا وثماني سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني
وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عايشة في غطه له
واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي
كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث
عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها
فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله
وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد
بين لك في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه
السلام وقبل اعلام الله تعالى بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة
ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اذا
خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا امرا ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا و
ارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض
هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها معاني الشك
في تصحيح ما رآه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام
الله تعالى انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد
اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك

فيما اليه. وقد روى ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم. كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران
اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال
اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف رأسها الحديث
انما ذلك في حق خديجة ليتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم. وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد
ابن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر
الامر بذلك. وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم. يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم
فلما جاءه جبريل اخبرها فقالت اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه
فقالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به. فهذا
يدل على انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي
صلى الله عليه وسلم. وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال لا يقدح
في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا
من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف مثل هذا الا من جهة

جهة النبي صلى الله عليه وسلم. مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما
ذكرنا او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك
باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى
هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن
عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي
صلى الله عليه وسلم. واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه
وتزمل في ثيابه وتدثر فيها. فأتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر
او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل
ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به. ونحو هذا
فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب
وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق
عليه قال مكي طمع في رحمة الله تعالى وان لا يضيق عليه مسلكه في
خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدّر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه
وذهابه قال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام و
لا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه. وكذلك قوله اذ
ذهب مغاضبا. الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس

والضحاك وغيرهما الاية انه مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة
الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم السلام وقيل مستحييا
من قومه ان يسموه بالكذاب ويقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض
الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له
يونس عليه السلام غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا
وقد روي عن ابن عباس ان ارسال يونس عليه السلام ونبوته انما كان بعد ان
نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا
عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويستدل
ايضا بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وذكر القصة ثم
قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه اذا قبل نبوته فان قيل
فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم
مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك
ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه الصلاة والسلام
بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله
من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب
ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع
ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او

او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه
وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد
بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة
الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاسات
البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة
النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في
طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق
عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص
قلبه وخلو همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك
ارفع حاليه رأى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها
غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله تعالى من ذلك
هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير
من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا
للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو
في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب
ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة
واجله ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره

ويغم فكره من امراء امته عليه الصلوة والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته
عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تغشاه
لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه الصلوة والسلام
عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله
هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون
الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية
واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة لعبوديته
كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذا الوجه الاخير
يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان
على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى
قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا
تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم
اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول
من قال في اية نبينا عليه الصلوة والسلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء
لجمعهم على الهدى وفي اية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله
وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك
لا يجوز على الانبياء عليهم السلام والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في

في امورهم بسمات الجاهلين كما قال تعالى اني اعظك وليس في آية
منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف
وآية نوح عليه السلام قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها
على قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال
فيه ابتداء فنهاه الله تعالى ان يسأله عما طوي عنه علمه واكنه من غيبه
من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله تعالى نعمته عليه باعلامه ذلك
بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا
عليه الصلوة والسلام في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا
يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك
وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اي فلا يكونوا من الجاهلين
حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفضل يجب القول بعصمة
الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم عن هذا
وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله تعالى لنبينا صلى
الله عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية
وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية وقوله لاخذنا منه باليمين
وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان

فان يشاء الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته و
قوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا
الله واياك انه عليه الصلوة والسلام لا يصح ولا يجوز ان لا يبلغ وان يخالف
امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسّر امره بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وان بلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكأنه
ما بلغ وطيّب نفسه وقوّى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس
كما قال لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا انني معكما لتشتد بصائرهم في
الابلاغ واظهار دين الله تعالى ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس
واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية اذا لاذقناك ضعف
الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا ولو فعلته انت وكنت ممن يفعله وهو صلى
الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشاء
الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه ذلك فالمراد غيره
وان هذا حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله
تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فليس فيه انه اطاعهم والله
سبحانه ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين

يدعون ربهم بالغداة الاية وما كان طردهم عليه الصلوة والسلام
ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم في هذا الفن قبل النبوة
فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله
تعالى وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار
والاثار عن الانبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ
ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات
الطاف السعادة كما نبهنا في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم
ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك
قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب
تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله
عليه وسلم بكل ما افترته وعيّر كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته
مما نص الله تعالى عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا
لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه
ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان
توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيه
عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا

عن تحويل القبلة. وقالوا ما ولّيهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله
تعالى عنهم. وقد استدل القاضي لتفسير على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية. وبقوله تعالى. واذ اخذ الله ميثاق
النبيين الى قوله لتؤمننّ به ولتنصرنّه. قال فطهره الله تعالى في الميثاق
بعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه. ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به
ونصره قبل مولده بدهور. ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا
يجوّزه الا ملحد هذا معنى كلامه قال وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل
عليه السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدء. ولا يشتبه
عليك بقول ابراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا
في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب
معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي
قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل
على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله عز وجل طرفة عين قول الله
تعالى عنه واذ قال ابراهيم لابيه آزر اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال
افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا

رب العالمين. وقوله اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك. وقوله واجنبني
وبنيّ ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكوننّ
من القوم الضالين. قيل انه لئن لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر. وانه صلى الله عليه وسلم معصوم في الازل من
الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى. وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودنّ في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل. قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود
وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه
اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء
في حديث الجهنميين عادوا حمما. ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر
قبل ذلك فعادا بعد ابوالا. وما كانا قبل ذلك فان قلت فما معنى قوله
ووجدك ضالا فهدى. فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا
عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري. وقيل وجدك من اهل ضلال فعصمك
من ذلك فهداك للايمان والى ارشادهم. ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل
ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها. والضلال هاهنا التحيّر.
ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه
به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام حكى معناه القشيري رح

وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه. وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن
تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس رضي الله عنه لم تكن له ضلالة معصية
وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين. وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة
فهداك الى المدينة. وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا. وعن جعفر بن محمد
ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي
وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنه ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك
وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال
تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة. ولم يريدوا ههنا
في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنريك
في ضلال مبين اي محبة بينة. وقال الجنيد رحمه الله ووجدك متحيرا
في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى. وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل
وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء. ولا اعلم احدا
قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام.
قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد
قاله ابن عرفة. وقال الازهري معناه من الناسين. وقد قيل ذلك في قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احدهما فتذكر احدهما
الاخرى فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان

الايمان. فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا
القران. ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان. وقال بكر القاضي نحوه. قال ولا الايمان
الذي هو الفرائض. والاحكام قال فكان صلى الله عليه وسلم قبل مؤمنا بتوحيد
الله. ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا. وهو
احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين.
فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي
ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك
الحديث الذي يروى عن عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم. قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما
يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده
باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد. فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا. و
قال هو موضوع او شبيه بالموضوع. وقال الدارقطني رحمه الله يقال
ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا
يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم
من قوله صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله صلى الله عليه وسلم
بغضت الي الاصنام. وقوله في الحديث الاخر الذي رواه ام ايمن حين كلمه عمه
وآله في حضور بعض اعيادهم. وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج

معهم ورجع مرعوبًا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض
طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدًا وقوله في قصة بحيرا
حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام
في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره
بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت
شيئًا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه
فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق
الله له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج
فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم عليه السلام **فصل** قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء صلوات الله
عليهم أجمعين وسلم في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على
ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة
علمًا ويقينًا على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا
ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده
وقد قدمنا منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع أول القسم من
هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف
فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء صلوات الله

وسلامه عليهم أجمعين العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها
واعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة
بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف
غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرًا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله تعالى ولكنه لا يقال
إنهم لا يعلمون شيئًا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم
المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا
بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلوم ومعرفتهم بذلك
مشهورة وأما إن كان هذا العقد فيما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي صلى الله
عليه وسلم إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل
عنده ذلك عن وحي من الله عز وجل فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما
قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده
فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك
على قول المحققين وعلى مقتضى حديث أم سلمة رضي الله عنها إنما أقضي بينكم برأيي
فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين
على رأي بعضهم فلا يكون أيضًا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقًا و

وصحيح هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز
عليهم الخطأ في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق و
الصواب عندنا ولا على قول الاخر بان الحق في طرف ولعدم عصمة النبي
صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة
المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده
انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما اعتقد عليه النبي
صلى الله عليه وسلم قلبه واما لم يعتقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية
فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا فشيئا حتى استقر علم
جميعها عنده عليه السلام اما بوحي من الله عز وجل او اذن ان يشرع
في ذلك ويحكم بما اراه الله عز وجل وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها
ولكنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه
السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب
وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر
بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده
ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى
وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم
ما كان وما يكون مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم

معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم به منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية
اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم
ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني
ربي ولقوله عليه السلام ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وقول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام هل اتبعك على ان
تعلمني مما علمت رشدا وقوله عليه السلام اسالك باسمائك الحسنى ما علمت
منها وما لم اعلم وقوله واسالك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به
في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد
ابن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله عز وجل وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته
تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في
التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة
مجمعة على عصمة النبي عليه السلام من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه
بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي
رحمه الله قال ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا
ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف
ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد

الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول
الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور
فلا يامرني الا بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه روي فاسلم بضم
الميم فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني
القرين انه انتقل عن حال الكفر الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو
ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فاذا
كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل احد من بني آدم فكيف بمن
بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار
بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه
وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلوته
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة
هرة فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه
الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمن رب اغفر لي وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد الآية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء رضي الله
عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له

له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل
المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه
جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذيته
بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل
النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى
في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم الآية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا
فقد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره وقال عليه السلام ان عيسى عليه السلام
كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال
عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب
فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله
تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية فقد قال بعض المفسرين
انها راجعة الى قوله تعالى واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك
اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل
النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
وقيل ينزغنك يغرينك ويحركك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى
متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى

وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه اذ يستعيذ منه فيكفى امره او يكون
بسبب مقام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة
عليه وقد قيل فى هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان
فى صورة الملك ويلبس عليه لا فى اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد فى
ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبى صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضرورى يخلقه الله له او ببرهان يظهره على يديه
لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الآية فاعلم
ان للناس فى معنى هذه الآية اقاويل منها السهل والوعث والسمين
والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمنى ههنا
التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا
للتالى حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام
السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه
ويحكم آياته وسيأتى الكلام على هذه الآية بعد باشبع من هذا ان شاء الله
وقد حكى السمرقندى رحمه الله انكار قول من قال بتسلط الشيطان على
ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان
عليه السلام مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذى ولد له

وقال ابو محمد مكى رحمه الله فى قصة ايوب عليه السلام وقوله انى مسنى
الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان
هو الذى امرضه والقى الضر فى بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره
ليبتليهم ويثيبهم قال مكى وقد قيل ان الذى اصابه الشيطان ما وسوس به
الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره وقول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادى
ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام فى وكزته هذا من عمل الشيطان
فاعلم ان هذا الكلام قد يرد فى جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب فى وصفهم
كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين
وقال عليه السلام فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا
يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له فى ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلام
وقد قيل قبيل موته بدليل القرآن وقصة يوسف عليه السلام قد ذكر انها
كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون فى قوله تعالى فانساه الشيطان
قولين احدهما ان الذى انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبى السجن وربه الملك
اى انساه ان يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من
فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ و
انما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما

ما نسيناه. وأما قوله عليه السلام: ان هذا واد به شيطان، فليس فيه ذكر تسلطه
عليه ولا وسوسة له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله: ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام. فاعلم ان
تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر. هذا
ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة. واما
ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به فهو
دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل واما اقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه. واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار
عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا. اما تعمد
الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق
فيما قال اتفاقا. وباطباق اهل الملة اجماعا. واما وقوعه على جهة الغلط
في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال بقوله
ومن جهة الاجماع فقط. وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي
صلى الله عليه وسلم. لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني
ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج
عن غرض الكتاب. فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين. انه لا يجوز عليه

خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه
وما اوحاه اليه من وحيه. لا على وجه العمد ولا على غير عمد. ولا في حال
الرضى والسخط والصحة والمرض. وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه
قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب
قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا. ولنزد ما اشرنا اليه من دليل
المعجزة عليه بيانا. فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا
حقا. ولا يبلغ عن الله الا صدقا. وان المعجزة قائمة مقام قول الله له
صدقت فيما تذكره عني. وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت
اليكم وابين لكم ما نزل اليكم. وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى.
وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم. وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا فلا يصح ان يؤخذ منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي
وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره. ولا اختلط
الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما

قال ابو اسحاق

فصل وقد توجهت هنا لبعض الطاعنين سؤالات منها
ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ في سورة والنجم وقال
افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى. قال تلك الغرانيق العلى.

وان شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية وان شفاعتها ترتجى
وانها لمع الغرانيق العلى وفي الاخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة
ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى
على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية
اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلام
جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن
لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل تسلية له عن الذي اوحينا
اليك وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله تعالى وان
كادوا ليفتنونك الآية فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا
الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ
الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه
ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون
بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن
العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق
بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده
واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة وآخر يقول قالها وقد [illegible]

اصابته سنة وآخر يقول بل حدثت نفسه فسهى وآخر يقول ان الشيطان
قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلام
قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا نزلت
الى غير ذلك من اختلاف الرواية ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين
والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم
فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنه فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه
يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده
الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق
يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه
كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز
الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله
والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة
فسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن هذا توهينه من طريق

النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته
صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذا الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه
مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه
عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من
القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في
حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا
وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته
عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه
عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان
يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الآية وقال تعالى اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا
الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام ممتزج المدح
والذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته
من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى
متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه
ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة

القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو
على النبي صلى الله عليه وسلم باقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم
الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى
شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة
الاصل ولو كان ذلك لوجدت بها قريش على المسلمين الصولة ولاقامت
بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك
لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة
اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من
هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها
بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض
شياطين الانس والجن هذا الحديث على مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء
المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا
ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لان الله
تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن
اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى
لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على
الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله و

وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف
ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء
وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون وقال الله تعالى
يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل قال
القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه
إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل وقال ابن الأنباري
ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من
نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد سفسافها فلم
يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده
الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم
وهو مفهوم الآية وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد
أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين
بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله
أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم
النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة
من أحواله ولا يخلقه الله سبحانه على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه

عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو
وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان
على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر
بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح أن يقوله عليه السلام
لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله
عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقوله
إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم
هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته
وهذا ممكن مع بيان الفصل بين الكلامين وقرينة تدل على المراد وأنه ليس
من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر الباقلاني ولا يعترض على هذا
بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي
يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه عز وجل يرتل القرآن ترتيلا ويفصل
الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك
السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي
صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة
قبل ذلك على ما أنزلها الله عز وجل وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه

وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف عنه وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع
المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني
اي تلاوة وقوله تعالى فينسخ ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس
ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو
اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه
حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد
الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس له طريقة تغيير المعاني
وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه
او كلمة ولكن لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر للحين على ما سنذكره
في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله ايضا
ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة
قلنا لا يبعد ان هذا قرآنا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى
الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك
ان الكفار كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى

حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله تعالى الكم الذكر وله
الانثى فانكر الله تعالى كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة
صحيح فلما تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم آياته
ورفع تلاوة تلك اللفظتين التي وجد الشيطان بهما سبيلا للالتباس
كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك
حكمة وفي نسخة حكمه ليضل به من يشاء ويهدي به من يشاء وما يضل به
الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها
بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا
عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك عليه و
اذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم
فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وبين

وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله
عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد كافرا وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت
له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق
بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا
اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر
افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل
بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر
على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة رضي الله
عنهم انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس رضي الله
وظاهر حكايتها له فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد
علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه
حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح
عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه
عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني
في جميع الروايات
ولو كانت صحيحة لما كانت فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم

ويتبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته وما
لبس العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه
بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا
ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة
في هذا الباب ان يونس عليه السلام قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا
عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان
العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله
عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب و
مخايله قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله
ابن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا صلى الله عليه وسلم حيث اريد
كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث
آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول
له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت وفي

فيما اوحي اليه ولا يجوز النسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا
طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه تصحيح اكثر من ان الكاتب قال له
عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فهو سبقه لسانه
او قلمه بكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم
مما املاه الرسول عليه السلام يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب
على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف
اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق
ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام
ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآيات وجهان
وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل
الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي
صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم
احكم الله سبحانه من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في
بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما
مع الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها

ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى
الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه
عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله تعالى ويسميه
في ذلك كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله
سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد
ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده
تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره
لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال
سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم
عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع
اقواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم
يكن لهم تردد في شيء منها ولا توقف ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل
وقع فيها سهو او لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين
اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضي الله عنه
بقوله عليه السلام كيف اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم
فقال له عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان آثاره واخباره وسيره وشمائله
معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام

لغلط في قول قاله واعترف بوهمه في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما
نقل من قصته عليه السلام في رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل
وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب
كقوله عليه السلام والله لا احلف على يمين وارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي
حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله عليه السلام انكم تختصمون الي الحديث
وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل
في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان
الكذب متى عرف في واحد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على وجه كان
استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما
ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ
وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا منقصة
والاكثار منه كبيرة باجماع مسقطة للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب
النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها
ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عد
عددناها من الصغاير فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه
والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ
والاعلام والتبيين وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء

شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن
يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد
ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو
فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا
الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم
وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه
وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدقه وامانته وما عرفوه
من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه
وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب
ما يتبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت فما معنى قوله عليه السلام
في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر قال
ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو عبد الله بن
الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين
عن ابي سفيان مولى ابن احمد قال سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال
يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت الصلوة وما نسيت الحديث

بقصة فأخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكونا وقد كان احد ذلك كما قال له
ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك
ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية
التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو القول الذي زيفناه من القولين
فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو و
النسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان
ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسن لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب
عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكأنه
قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان
ان قوله عليه السلام ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت
عن العدد اي لم انسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث
وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم

لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت الصلوة
ولا نسيت هذا ما رايته فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد
بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والذي
اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله صلى الله عليه وسلم
لم انس انكار اللفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئس ما لا
حدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات
الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام
نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء
من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق انه نسي واجرى عليه ذلك ليسن
فقوله عليه السلام على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق
وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استثرته من كلام
بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
وكذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما
هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان
يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان
تحقق عن هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت خلف في قول وعندي

ان قوله ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان والله
اعلم واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذباته
الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم
هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها
خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض
التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه
ساسقم اي كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم
بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما
رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل
بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا
يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم
في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف
في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه
الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكواكب والشمس والقمر ما نصه
الله تعالى وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق
خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه

لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث
وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون
اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم سماها كذبات وقال لم يكذب
ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم
يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات
ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام بمؤاخذته
بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها
فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره
وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض
بذكره لا انه يقول تجهزوا لغزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف
مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت
فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب
الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين
اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم انه وقع
في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنه هل
تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه
ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به

لانه حاله في النبوة والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك
ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم
بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة
الامة ويكون الخضر عليه السلام اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا
باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان
موسى عليه السلام اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم
ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما
قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة
عليهم السلام لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك
والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته
من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك
من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك
ليلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد
ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر عليه السلام
لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء عليهم

عليهم السلام فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه
عنه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا
يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل
احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على
العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر
ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله تعالى
والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر
للتاديب لا للتعليم **فصل** واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج
من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد
بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع
المسلمون على عصمة الانبياء عليهم السلام من الفواحش والكبائر الموبقات
ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي
ابو بكر رحمه الله ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة
واختاره الاستاذ ابو اسحاق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من
كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك تقتضي العصمة منه
المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قائلون بانهم معصومون
من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا

البخاري قال لا قدح لهم على العاصي صلاة وأما الصغائر فجوزها
جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري
وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا
به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم
يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين
من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر
قالوا لاختلاف في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك و
قول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير
بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري سبحانه في اي امر كان
يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو الفضل محمد بن عبد الوهاب لا يمكن ان
يقال ان في معاصي الله سبحانه صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب
الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها
شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله عز وجل وهو قول القاضي ابي بكر
وقول جماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض
ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون من تكرار الصغائر
وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة
واسقطت المروءة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم

يعصم عنه الانبيا اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به وينفر القلوب
عنه والانبياء عليهم السلام منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل
المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد
ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة
على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم
مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة
من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك و
حكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول
الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر العراق وابن سريج و
الاصطخري وابن خيران من الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة
الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد
القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد وقال فلو جوزنا عليهم الصغائر
لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به
من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال
امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن
نبينا عليه السلام مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى

أي شيئاً فسكت عنه عليه السلام دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في
حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمته من
مواقعة المكروه كما قيل وأيضاً فإن الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر
والنهي عن فعل المكروه وأيضاً فقد علم من دين الصحابة قطعاً الاقتداء بفعل
النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجه وفي كل فن كالاقتداء بأقواله
فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم
برؤية ابن عمر إياه جالساً لقضاء حاجته مستقبلاً بيت المقدس واحتج
غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة أو العادة بقوله رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله وقال عليه السلام هلا خبرتيها إني أقبل وأنا
صائم وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي أخبر بمثل هذا عنه فقال
يحل الله لرسوله ما يشاء وقال والله إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده
والآثار في هذا أكثر من أن نحيط عليه لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم
أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا
ولنقل عنهم وظهر بحثهم على ذلك ولما أنكر عليه السلام على الآخر قوله و
اعتذاره بما ذكرناه وأما المباحات فجائز وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح
بل هي مأذون فيها وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما

خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من أنوار المعرفة واصطفوا
به من تعلق هممهم بالله عز وجل والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات إلا
الضروريات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة
دنياهم وما أخذوا على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه
أول الكتاب طرفاً في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل
الله على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر أنبيائه عليهم السلام بأن جعل
أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها
آخرون والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما
يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي
إنما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه وسلم
قبل أن يوحى إليه هل كان متبعاً لشرع قبله أم لا فقال جماعة لم يكن متبعاً
لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة
في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر
الشرع ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة و
مقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد
الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره

فى العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل
تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شىء من ذلك جملة وذهب
طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من
عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهى طريقة غير سديدة واستنا
ذلك الى النقل كما تقدم للقاضى ابى بكر اولى واظهر وقالت فرقة
اخرى بالوقف فى امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشىء فى ذلك
اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها فى احدهما طريق النقل
وهو مذهب ابى المعالى وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله
ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه
واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان
يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين فهذه جملة المذاهب فى هذه المسئلة والاظهر فيها
ما ذهب اليه القاضى ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شىء
من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم فى ان عيسى عليه السلام
اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح
انه لم يكن لنبى دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا
للاخر فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وللاخرين شرع لكم من

من الدين ما وصى به نوحا فمحمل هذه الاية على اتباعهم فى التوحيد كقوله
تعالى اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وقد سمى تعالى فيهم من لم يبعث
ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس
برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم فى هذه الاية وشرايعهم مختلفة
لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله
تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول فى سائر
الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد
اصله فى كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور وتقرر
اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن
قبله يلتزم بمساقه حجته فى كل نبى فصل هذا حكم ما تكون المخالفة
فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف
واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان فى الوظائف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال
الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين فى ترك المؤاخذة به وكونه ليس معصية
لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق
الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا
مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو فى

في القول في هذا الباب • وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي
صلى الله عليه وسلم • وعصمته من جوازه عليه قصدًا • أو سهوًا فكذلك
قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز طروّ المخالفة فيها لا عمدًا ولا سهوًا •
لأنها في معنى القول من جهة التبليغ والأداء • وطروّ هذه العوارض عليها
يوجب التشكيك • ويسبّب المطاعن • واعتذروا عن أحاديث السهو بتوجيهات
نذكرها بعد هذا • وإلى هذا مال أبو إسحاق الإسفرايني • وذهب الأكثر من الفقهاء
والمحدثين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهوًا
وعن غير قصد منه جائز عليه • كما تقرر من أحاديث السهو في الصلوة • وفرّقوا
بين ذلك • وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول
ومخالفة ذلك يناقضها • وأما السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا
قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال
عليه السلام إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني • نعم بل حالة
النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب إفادة علم وتقرير شرع • كما
قال عليه السلام إني لأنسى أو أنسّى لأسنّ بل قد روي لست أنسى ولكن أنسّى
لأسنّ • وهذه الحالة زيادة له في التبليغ • وتمام عليه في النعمة بعيدة عن
سمات النقص وأعراض الطعن فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل
لا تقرّ على السهو والغلط بل ينبهون عليه • ويعرفون حكمه بالفور على قول

على قول بعضهم • وهو الصحيح • وقبل انقراضهم على قول الآخرين • وأما ما ليس
طريقه البلاغ • ولا بيان الأحكام من أفعاله عليه السلام • وما يختص به من
أمور دينه • وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتّبع فيه فالأكثر من طبقات
علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها • ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه • وذلك بما كُلّفه من مقاساة الخلق • وسياسات الأمة • ومعاناة
الأهل • وملاحظة الأعداء • ولكن ليس على سبيل التكرار • ولا الاتصال
بل على سبيل الندور • كما قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله • وليس
في هذا شيء يحطّ من رتبته • ويناقض معجزته • وذهبت طائفة إلى منع السهو
والنسيان والغفلات • والفترات في حقه عليه السلام جملة • وذهبت جماعة
المتصوفة • وأصحاب علم القلوب والمقامات • ولهم في هذه الأحاديث مذاهب
نذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى **فصل** في الكلام على الأحاديث المذكورة
فيها السهو منه عليه السلام • وقد قدمنا في الفصل قبل هذا ما يجوز عليه فيه
السهو عليه السلام • وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة • وفي الأقوال الدينية
قطعًا • وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه • وأشرنا إلى
ما ورد في ذلك • ونحن نبسط القول فيه • الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه
عليه السلام في الصلوة ثلاثة أحاديث أولها حديث ذي اليدين في السلام
من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث

ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذا الكلام
مبني على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ
بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على السهو
بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان
النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا
قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني وقال عليه السلام رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا
آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لانسى
او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى
ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان
معناه التقسيم اي انسى او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل
ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة
البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له
فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام
على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى
لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه

عنها والسهو شغل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته
ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج
بقوله عليه السلام في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع
هذا كله عنه عليه السلام وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا
ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل
لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة
النسيان ليسن لقوله عليه السلام اني لانسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين
ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد
مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم
يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله عليه
السلام اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما
فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا
ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل
بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج
وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي
ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه
احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى

الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن
الصلوة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء
عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في
غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته
ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا
وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون
منه لامر يريده الله عز وجل من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع
وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان تكون لمن بعدكم
الثاني ان قلبه عليه السلام لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه
لما روي انه عليه السلام كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه
ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس رضي الله عنه المذكور فيه وضوءه
عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه
بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي الحديث
نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضا
وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا
نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام

عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان
قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب
انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا تصح ممن
نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله
ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه
عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك
الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا
فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم يكن منه ولكن
الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو وغفلة من قبله
تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه عليه السلام على طريق
الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد
فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ
ما امر بلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه
الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز
ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى منه قبل
البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره

اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله تعالى كتابه وتكليفه بلاغه

فصل

في الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا به في ذلك
اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القران
والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكباير وخرق الاجماع
وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما
التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به
قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى
ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله تعالى
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله تعالى عبس وتولى
ان جاءه الاعمى وما قص الله تعالى من قصص غيره من الانبياء عليهم السلام كقوله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية
وقوله تعالى عنه ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله تعالى عن يونس سبحانك

سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته عليه السلام وقصة
داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص الله تعالى من قصته مع اخوته
وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما
اسررت وما اعلنت ونحوه من دعائه عليه السلام وذكر الانبياء عليهم
السلام في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله عليه السلام انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم الواحد اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح ولا
تغفر لي وترحمني الآية وقد كان قال الله تعالى له ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغرقون وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله تعالى عن موسى عليه السلام تبت اليك
وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم
بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف
المفسرون فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما
وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة
وما تاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته

عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تاخر من ذنوب امتك
حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتاول قوله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي رحمه الله مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الآية وبمآل المؤمنين
في الآية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية انك مغفور لك غير
مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب واما
قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه
انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره وحكى معناه
السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية
حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك
لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا
لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى

المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم
بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية
واعلام الله تعالى له بحفظه ما استحفظه من وحيه واما قوله تعالى عفا
الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله
تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده
اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه
الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء
فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى فاذن لمن شئت منهم
فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لقعدوا
وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى
الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط
اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن
ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك
ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال مكي رحمه الله هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله

وأما قوله في أسارى بدر ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يكون له أسرى
الآيتين فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص
وفضل من بين سائر الأنبياء عليهم السلام فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك
كما قال صلى الله عليه وسلم أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فإن قيل فما معنى
قوله تعالى تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعني بالخطاب لمن أراد ذلك منهم
وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا
النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت
حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن
القتال حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله
سبق فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها لولا أنه سبق
مني أن لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى
معصية وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم
الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا
ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن أحلت لكم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى
وقيل لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام

قوله لولا كان صلى الله عليه وسلم قد خرج في ذلك

إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى
إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم
فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا
إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره
من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب
اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين وإلى نحو هذا أشار الطبري
وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه إلا عمر إشارة
إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه في إعزاز الدين وإظهار
كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر
ومثله وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك
عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما
جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص
ولا جعل الأمر إليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء
أخبر نبيه عليه السلام في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال
الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي
قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك
قبل بدر بأزيد من عام فهذا كله يدل أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في

في شأن الاسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره
الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار
نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم
لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله تعالى
عبس وتولى الآيات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله تعالى
ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف لك
حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم
لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله عز وجل وتبليغا عنه و
استيلافا له كما شرعه الله تعالى له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله تعالى
عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة
الى الاعراض عنه بقوله تعالى وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى
الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة
آدم عليه السلام وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه
بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى
قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان

ان هذا عدو لك ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال
ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن
الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل
هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع
وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال الله تعالى ولم نجد له عزما
اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل
كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة
انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه
غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال
الشيخ ابو بكر بن فورك رحمه الله وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة
ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كان بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا
وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي الله تعالى عن شجرة
مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ
لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى
كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه وقال تعالى فتاب عليه وقوله

وقوله في حديث الشفاعة فيذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت
فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملاً آخر الفصل وأما قصة يونس
عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها آنفاً وليس في قصة يونس
نص على ذنب وإنما فيه أبق وذهب مغاضباً وقد تكلمنا عليه وقيل
إنما نقم الله تعالى عليه خروجه عن قومه فاراً من نزول العذاب وقيل
بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب
أبداً وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء
الرسالة وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية
إلا على قول مرغوب عنه وقوله تعالى إذ أبق إلى الفلك المشحون قال المفسرون
تباعد وأما قوله إني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن قومه
بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد
دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن
الظلم وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً ومثل هذا قول آدم
وحوا عليهما السلام ربنا ظلمنا أنفسنا إذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع
الذي أنزلا فيه وإخراجهما من الجنة وإنزالهما إلى الأرض وأما قصة داود
عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الأخباريون عن أهل

عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله
تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله تعالى عليه قوله
وظن داود أنما فتناه إلى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب ومعنى فتناه
اختبرناه وأواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنه ما زاد داود على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك و
أكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا
وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل
بل أحب بقلبه أن يستشهد وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله
لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه ولأن نوماً أضيف في
الأخبار إلى داود ومن ذلك ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين
قال الداودي ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة
قتل مسلم وقيل إن الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر
الآية وأما قصة يوسف عليه السلام وإخوته فليس على يوسف منها تعقب
وأما إخوته فلم يثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط وعدهم
في القرآن عند ذكر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال المفسرون
يريد من نبي من أبناء الأسباط وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه
صغار الأسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله

معنا انما خلا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم وأما
قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقول النبي
صلى الله عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا
معصية في همه اذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم
اذا وطنت عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف من هذا و
يكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه
على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد
حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير
اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء
وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن
مثواي انه لا يفلح الظالمون الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي
بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها
وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم
قال ما زال النساء يملن الى يوسف عليه السلام ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى

تعالى والقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه حسنه واما خبر
موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قيل كان
من القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة
موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية
في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال
ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله
عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل
ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته
وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء وقيل في هذه القصة وما جرى له
مع فرعون وقيل القاؤه في اليم والتابوت وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك
اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها
واصل الفتنة معناه الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف
الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان
ملك الموت عليه السلام جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما
يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر
بين الوجه جائز الفعل لان موسى عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه لا
تلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت

الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادّت الى ذهاب عين تلك الصورة التى
تصوّر له فيها الملك امتحانا من الله عز وجل فلما جاءه بعد واعلمه الله تعالى
انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا اسدّها عندى وهو تاويل شيخنا الامام ابى عبد الله المازرى
رحمه الله وقد تأوّله قديما ابن عائشة وغيره على صكّه ولطمه بالحجة
وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل فى هذا الباب فى اللغة معروف
واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله
ولقد فتنا سليمن فمعناه ابتلينا وابتلاؤه ما حكى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس
يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن
الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى
نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله قال اصحاب المعانى
والشق هو الجسد الذى القى على كرسيه حين عرض عليه وهى عقوبته
ومحنته وقيل بل مات فالقى على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك
وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمنى
وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على
خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون

الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى
امته بالجور فى حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم
الانبياء من مثله وان سئل لم يقل سليمن عليه السلام فى القصة المذكورة
ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روى فى الحديث الصحيح انه نسى ان يقولها
وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثانى انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله
هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لم يفعل هذا سليمن غيرة على الدنيا ولا
نفاسة بها ولكن مقصده فى ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه
احد كما سلط عليه الشيطان الذى سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك
وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على
نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى
الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام
فظاهر العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى من كل
زوجين اثنين انا منجوك واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم
ما طوى عنه من ذلك لا انه شك فى وعد الله تعالى فبين الله عليه انه ليس
من اهله الذين وعد بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق
الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فووخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق

هو من اقدامه على بر لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح
عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل
هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله واقدامه بالسؤال
فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة
فحرق قرية النمل فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم
تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا الذي اتى معصية بل فعل
ما راه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله
تعالى الا ترى ان هذا النبي صلى الله عليه وسلم كان نازلا تحت الشجرة فلما
اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله
تعالى اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما
قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته
هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل
هناك ولم يأت في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله تعالى
اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله
عليه السلام ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه
السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد
وعن سهو وغفلة فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب

الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما
معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح
من اعتراف الانبياء عليهم السلام بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم
على ما سلف منهم واشفاقهم وهل تشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم
وفقنا الله واياكم ان درجة الانبياء عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة
بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه
جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور
لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من
المؤاخذة بها واتوها على وجه التأويل او السهو او تزيد من امور الدنيا
المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انهم كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب
مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اي آخره واذناب الناس
رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوء ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر
والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر
والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة اليها هذه الهنات في حقه كالحسنات
كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم

كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيفما
ما كانت من سهو وتأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل أن تلك الشجرة
هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت
أمنيته وهذا يوسف عليه السلام قد أوخذ بقوله لأحد صاحبي السجن
اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
قيل أنسي يوسف ذكر الله تعالى وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك
قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث وقال
ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن
حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الأنبياء بمثا
قيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم
في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق
ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم فاعلم
أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول
إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون
بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى وقال تعالى لداود عليه السلام فغفرنا له ذلك الآية

الآية وقال تعالى بعد قول موسى عليه السلام تبت إليك إني اصطفيتك
على الناس وقال تعالى بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا له الريح
إلى قوله وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الأنبياء عليهم السلام
في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو ما قدمناه
وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك
فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا
الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف
بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء
لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة
من نبينا صلى الله عليه وسلم وأيضا فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون
بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبياء عليهم السلام
من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى
المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت
فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن
كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم السلام
على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله
تعالى على نعمه كما قال عليه السلام وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر أفلا

اكون عبداً شكوراً وقال عليه السلام اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال
الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم آمنون
وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وايضاً فان في التوبة والاستغفار
معنى آخر لطيفاً اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى قال
الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء
الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله
والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الاية وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا. فصل
قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل
بالله وصفاته وكونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة
عقلاً واجماعاً وقبلها سمعاً ونقلاً ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه
عن ربه من الوحي قطعاً عقلاً وشرعاً وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ
نبأه الله تعالى وارسله قصداً او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعاً
واجماعاً ونظراً وبرهاناً وتنزيهه عن الكبائر اجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً
وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً
وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة

للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب
لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق
قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد
في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما يجب ان يضاف اليه فيهلك
من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل
واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط صلى
الله عليه وسلم على الرجلين الذين رأياه ليلاً وهو معتكف في المسجد
مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال عليه السلام ان الشيطان يجري
من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئاً فتهلكا
هذه اكرمك الله احد فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل
جاهلاً لا يعلم بجهله اذا سمع شيئاً منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول
العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها
وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتنبني عليها مسائل لا تعد
من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم
في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من
اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في

في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة
في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال
الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها
الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور و
وصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه
والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص
او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا او يضيع
حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول
وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة عليهم السلام فصل في القول
في عصمة الملائكة عليهم السلام اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء
واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما
ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع
الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي
واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله
تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون ونحن المسبحون
وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل
والنهار لا يفترون وبقوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته

عن عبادته الاية وقوله تعالى كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه
من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين
واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله
تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه
نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت
بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان
الكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى
فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة
المفسرين وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما
فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن
اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره
وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه
وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء
هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل
القراءة ملكين وملكين وهل ما في قوله تعالى وما انزل وما يعلمان من احد

من احد نافيه او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين
لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى
انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء
يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا
فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس
بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده
هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ
بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته
وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في
تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله عز وجل وابتلاء فكيف
لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم
ينزل يريد انه ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي رحمه الله وتقدير الكلام
وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في ذلك
اليهود وما انزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل وميكائيل ادعى
عليهما اليهود المجيء به كما ادعوا عليه على سليمان فاكذبهم الله تعالى في ذلك
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت وقيل
هما رجلان تعلماه قال الحسن رحمه الله هاروت وماروت علجان من

اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا
وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود
وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل
فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الاية
على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب عنهم الرجس ويطهرهم
تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون وكرام بررة ولا
يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملائكة
ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة
لقوله تعالى فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون
ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن
زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين
افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال
الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا
من الملائكة عصوا الله فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد لمن ذكر
وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا
تعالى الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا نشتغل
بها والله الموفق للصواب **الباب الثاني** فيما يخصهم في الامور الدنيوية
وطرو عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء

والرسل عليهم السلام من البشر واجسامهم وظواهرهم خالصة للبشر يجوز
عليها من الآفات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع
كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيهم لان الشيء انما
يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى
على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر
بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع
والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف
والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم
وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه
وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات
البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء عليهم السلام ما هو اعظم
منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله
ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا
صلى الله عليه وسلم من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن
قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد
اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث
وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه

وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر الانبياء عليهم السلام
مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات و
يبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم
ضلال النصارى بعيسى ابن مريم وليكون في محنتهم تسلية لامتهم ووفور لاجورهم
عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ
والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر
ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك
معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها
الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
وقال عليه السلام اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني
وقال عليه السلام لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر عليه السلام ان سره
وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره
من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من
البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو
عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض
الآثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه
وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية

جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم بقوله
عليه السلام لست كهيئتكم اني ابيت ويطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول
انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه
ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر
مما ناخذ بعد في بيانه **فصل** فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه
عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال ثنا حاتم
ابن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا
البخاري ثنا عبيد بن اسمعيل قال ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه
ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان
ياتي النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف
حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم
وفقنا الله واياك ان الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة و
تدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكك في الشرع وقد
نزه الله تعالى الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في امره لبسا وانما
السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما
لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان عليه السلام يخيل اليه انه

انه فعل الشيء وما فعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء
من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته
من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امور دنياه التي لم يبعث بسببها
ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل
اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل
الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن وقد قال سفيان
رحمه الله وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات في خبر منها انه نقل عنه في
ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات
وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله
ولكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله
على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع
ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع
لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل
يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث
عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى

وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عبد الرزاق
عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عايشة سنة فبينما هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر
عند رجليه الحديث وقال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عايشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي
الله عنه مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب
فهبط عليه ملكان فذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه
انما اثر في بصره وحبسه عن وطي نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه
ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن اى يظهر له من نشاطه
ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر
فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار
سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عايشة في رواية
اخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر
في الحديث فيظن انه رأى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره
ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ
عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتأثيره فيه

فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا **فصل** هذه حاله في
جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم
بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء
على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع
كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا
انا ابو العباس احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد بن عمرويه
ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري
قالوا ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي قال ثنا رافع
بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا
فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من
دينكم فخذوه واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر وفي رواية انس انتم
اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي
حديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما
انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا
وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة

وسنة سنها، وكما حكى ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل بأدنى
مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله تعالى ليس لنا أن
نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة، قال لا بل هو الرأي والحرب
والمكيدة، قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله
ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون، فقال أشرت بالرأي
وفعل ما قاله، وقد قال الله تعالى له وشاورهم في الأمر، وأراد مصالحة
بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم
رجع عنه، فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة
ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس في هذا كله
نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها، والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية
ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية
ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق
في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة، وقد تواتر
بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها
وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب
معجزاته من هذا الكتاب. فصل وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية

الجارية على يديه وقضاياه ومعرفة المحقق من الباطل وعلم المصلح من
المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون
إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه
فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة
من النار، حدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ
أبو عمر ثنا أبو محمد ثنا أبو بكر ثنا أبو داود ثنا محمد بن كثير أنا سفيان عن هشام
ابن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث، وفي رواية الزهري عن عروة فلعل
بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له، وتجري أحكامه
صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين
الحالف ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة
الله تعالى في ذلك، فإنه تعالى لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر
أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة
أو يمين أو شبهة، ولكن لما أمر الله تعالى أمته باتباعه والاقتداء به في أفعاله
وأحواله وقضاياه وسيره، وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله
تعالى به لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك، ولا قامت حجة
بقضية من قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك

القضية بحكمه هو اذ في ذلك بالمكنون من اعلام الله تعالى بما اطلعه
عليه من سرائرهم وهذا ما لا نعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظوا
ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين
قضاياهم وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته
اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول
وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة
لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي
استأثر بعلم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه
منه ما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من
عصمته **فصل** واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره
وما يفعله او فعله وقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى
اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم
منه عليه السلام هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب
فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور
الدينية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجهة مغازيه لئلا يأخذ
العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب

وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم
كقوله تعالى عليه السلام لاحملنك على ابن ناقة وقوله عليه السلام للمرأة
التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض فهذا كله صدق لان كل جمل
ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول
الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي
في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء
او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي
ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة قلب فان قلت فما معنى
اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك
عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير
عن علي بن حسين رحمة الله ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم
ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك
زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها
مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن
فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله

عز وجل بزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه وتصحيح
هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اى لابد
لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى لم يبد من امره معها غير زواجه لها
فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به وقوله تعالى في القصة
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل انه لم يكن عليه
حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله لمن
قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اى من النبيين
فيما احل لهم ولو كان على ما روى في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي
صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم
الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان
هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف
سيد الانبياء قال القشيري رحمه الله وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته
وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى
الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج
النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال تعالى
ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله الآية وقال تعالى لكيلا

لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال
ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد
بامساكها فهو ان الله عز وجل اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه
النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم يكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما
اعلمه الله تعالى به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله
تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس
عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة
فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسان الحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم
قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة
والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول
ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك
وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه
وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد
نزهه الله عز وجل عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطأ قال وليس معنى الخشية
هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اى يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه

ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين
واليهود وتشنيعهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن
نكاح حلائل الابناء كما كان فعاتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم
فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم
ما احل الله لك الاية كذلك قوله له ههنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه فصل فان قلت
قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح
منه خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد
ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام
الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي قال ثنا القاضي ابو الوليد قال ثنا ابو ذر
ثنا ابو محمد ثنا ابو الهيثم وابو اسحاق قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل
قال ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب
لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال

فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه فقال ان النبي صلى
الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا
فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من
يقول ما قال عمر انما في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم
من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ
على جسمه معصوم ان يكون منه من القول في اثناء ذلك ما يطعن في معجزته
ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح
ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا
هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر
على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري
من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام
عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطريق
وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من
رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل
هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظم ما شاهد من حال الرسول

صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهو المقام الذي اختلف فيه عليه و
الامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر
مجرى شدة الوجع لانه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على
حراسة والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا
وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده عليه السلام ومخاطبة
لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف
العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره عليه السلام لهم بان
يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من
ندبها من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم
ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك
فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن منه عزمة ولما رأوه
من صواب رأي عمر رضي الله عنه ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا
على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان
تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به
الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة

بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم
النظر وطلب الصواب فيكون المخطئ والمصيب ماجورا وقد علم عمر رضي
تقرر الشريعة وتأسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم و
قوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد
على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر رضي الله عنه خشي
تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان
يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت
طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا
الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر بل اقتضاه منه بعض صحابته فاجاب
رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في هذه القصة بقول
العباس لعلي رضي الله عنه بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر
فينا علمناه وكراهة علي رضي الله عنه وقوله والله لا افعل واستدل بقوله
دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم و
كتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده
وتعيين ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه
ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا
ابو احمد الجلودي قال ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا

ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة
رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن
اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم
القيامة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل
وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها
زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا
يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل
مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك
ان قوله عليه السلام اولا ليس لها باهلا اى عندك يا رب في باطن امره فان
حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه
السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا له
عليه السلام لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله
بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه ولعنه له رحمة
فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان
يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله
اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد

المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان
يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد
يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي
حدود الله تعالى وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد
في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس
المراد بها الاجابة كقوله عليه السلام تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك
وعقرى حلقى وغير هذا من دعواته وفي صفته عليه السلام في غير حديث
انه عليه السلام لم يكن فاحشا وقد ورد وقال انس رضي الله عنه لم يكن سبابا ولا
فحاشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها
اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة
وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من
استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه
ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده
او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية
لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في
الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قيل

فما معنى حديث الزبير رضي الله عنه وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين
تخاصمه مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى
الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه
صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط
والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه
وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري رحمه الله على هذا الحديث باب اذا اشار
الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا
في قضية وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه
ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال
الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا انما كان لله لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقاد
عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان
عكاشة قال وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى

صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام
الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه
وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا
منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام
اشفق اذ كان حقه في نفسه من الامر حتى عفى عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب
في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه فانما
ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب
الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل على ما قدمناه **فصل**
واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي
والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله
غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله صلى الله
والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان
عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه الا الضرورة وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة
ذاته التي بها يعبد ربه عز وجل ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه
وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله

أو بهيمة وتألّف شاردا وقهر معاندا ومداراة حاسدا وكل هذا لائق
بصالح العمالة منتظم في ذلك وظائف عباداته وقد كان عليه السلام يخالف
في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال وبعد الأمور واشباهها فيركب
في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة وقد ركب البغلة في معارك الحرب
دليلا على الثبات وركب الخيل وبعدها يوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك
في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك قد يفعل
الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان
قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل
هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد
وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمورهم مؤالفة
لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن يقول الناس إن محمدا يقتل
أصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام
مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم كذلك
وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله وقال لعائشة رضي الله عنها في الحديث
الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم ويفعل الفعل
ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو
من قريش وكقوله عليه السلام لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت

ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر
للجاهل ويقول إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل الرغائب لتحبيب إليه
شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في
ملائه حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه حتى كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث
مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع
الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن
على جلسائه يقول ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين فإن قلت فما معنى قوله
قوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما
دخل ألان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر الناس
من اتقاه الناس لشره وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره
ما قال فالجواب أن فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه
ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام بسببه أتباعه ويراه مثله فيجذب بذلك
إلى الإسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد المداراة في الدنيا إلى السياسة
الدينية وقد كان عليه السلام يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف
بالكلمة اللينة قال صفوان لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي وقوله عليه السلام فيه
بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله

ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما لو كان مطاعاً متبوعاً
ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن غيبة بل كان جائزاً بل واجباً
في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل
فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة أن يبيعها الا ان يكون الولاء فعلت
ثم قام خطيباً فقال ما بال اقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله كل
شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالاشتراط
لهم وعليه باعوا والولاء والله اعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها الا على
شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فقلنا
فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهلية من هذا
ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا ما قد انكر قوم هذه الزيادة وهي قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض فيها
اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال تعالى وان اسأتم
فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثالث
قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء
لمن اعتق فكانه عليه السلام قال لها اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع

نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم
لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله
عليه السلام اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء
انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو عليه السلام مبينا ذلك وموبخا على
مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه
اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك
وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الآية تدل ان فعل
يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه
في دين الملك الا ان يشاء الله الآية فاذا كان ذلك فلا اعتراض كان فيه ما
فيه فان يوسف عليه السلام كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما
جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به
وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون
فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن له
التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم
قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير ذلك ولا يلزم ان نقول الانبياء ما لم
يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم
فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من

من الانبياء على جميعهم الصلوة والسلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله تعالى
به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا
وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم عليهم السلام وهم خيرته من خلقه واحباؤه
واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته
جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون
ولنبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه تعالى اياهم بضروب
المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات
الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع
منهم وتاكيدا لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة
لغيرهم وموعظة ليتاسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم
ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا
الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي
ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل ابن خيرون قالا ثنا ابو
يعلى البغدادي قال ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي
ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل

فالامثل ويبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه
يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه
ربيون كثير الآيات الثلاث وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن
في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله
عنه عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا
اراد الله بعبده شرا امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث
آخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي رحمه الله ان
كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب
كما روي عن لقمان عليه السلام انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار
والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان بسبب التفاته
في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف
على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه
وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه يوسف
فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن
فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا
فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله تعالى عليها
وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب عليه السلام انه دخل مع اهل قريته

حتى نعلم
ولیعلم الله الذین آمنوا

على ملكهم فكلموه في ظلمه ولم يغلظوا له الا ايوب فانه رفق مخافة
على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان عليه السلام لما ذكرناه من
نيته في كون الحق في جهة اصهاره وللعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده
وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عايشة
رضي الله عنها ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا
فقلت انك توعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان
منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي
سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق
اضع يدي عليك من شدة حماك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى
بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى الفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء
كما يفرحون بالرخاء وعن انس عنه عليه ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان
الله عز وجل اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط
وقال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوء يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا
فتكون له كفارة وروي مثل هذا عن عايشة رضي الله عنها وابي ومجاهد وقال
ابو هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه

منه وقال في رواية عايشة رضي الله عنها ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر
الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب
ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا
كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما من مسلم يصيبه
اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله
تعالى في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليه وشدتها عند موتهم
لتضعيف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة
النزع وشدة السكرات لتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف
موت الفجاة واخذه كما تشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين
والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع يفيئها
الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث اتتها الريح
تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفؤ بالبلاء ومثل الكافر
كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزا مصاب
بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله تعالى منطاع لذلك لين
الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها
لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلاء قام
واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند رياح الجو رجع الى شكر ربه

سكون

ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظر رحمته وثوابه عليه فاذا كان
بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت سكراته
ونزعه لعادته كما تقدم من الآلام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالى المرض وشدته والكافر
بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع في صحة جسمه كالارزة الصماء
حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه الله لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف
ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة
جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الآخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال
الله تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله تعالى في اعدائه
كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته
الصيحة الآية ففاجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم على غير
استعداد بغتة وهذا ما كره السلف موت الفجأة ومنه في حديث ابراهيم
كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اى الغضب يريد الموت الفجأة وحكمة
ذلك ان الامراض نذير الموت وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت
فيستعد من اصابته وعلم تعاهده له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا
الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تبعته
من قبل الله وقبل العباد ويؤدى الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه

اليه من وصيته فيمن يخلفه وامر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن
كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص
منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده
كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته
بعده اما في النص في الخلافة والله اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه افضل
وخيرا وهكذا سير عباد الله المؤمنين واولياء المتقين وهذا كله
يحرمه غالبا الكفار لامهال الله تعالى لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من
حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم
يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون وكذلك قال
عليه السلام في رجل مات فجاءة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم
وصيته وقال عليه السلام موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر
او للفاجر وذلك ان الموت يأتي المؤمن غالبا وهو مستعد له منتظر
لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها
كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وتأتى الكافر والفاجر منيته
على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء

عليه وفراق الدنيا اقطع لمرصدته واكره شئ له والى هذا المعنى اشار
عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره
الله لقاءه **القسم الرابع** في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه
عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد تقدم من الكتاب والسنة
واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر
وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت
الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى
في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا
الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك
واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله سبحانه المؤمنين
عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر
والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها
عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم
توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا

ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايتهم لهم وهو
عليه السلام واجب الرعاية في كل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني
بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ
كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك
انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره
لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء
فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه
فحمل محققوا العلماء نهيه هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لا
لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما
ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق
تعظيمه وتوقيره على سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك
لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله تعالى منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله
ويا نبي الله وقد يدعونه بكنيته ابا القاسم في بعض الاحوال وقد روى انس
رضي الله عنه عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن
ذلك اذا لم يوقر وقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر

كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو
جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه
ويقول له فعل الله بك يا محمد فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب
الا ارى محمدا يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماء
جماعة وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله
بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه
محمدا وكناه بابي القاسم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك
لعلي رضي الله عنه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم المهدي وكنيته
وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم
ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد
ومحمدان وثلاثة وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه
الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض
او نص قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وفقنا الله واياك ان جميع
من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه
او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له
او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له

والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول
هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك
من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على
طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول
وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء
وائمة الفتوى من لدن الصحابة الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر رحمه الله
اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال
ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري و
اهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد
ابن مسلم عن مالك وحكى الطبري عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه عليه
السلام او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة
وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه
في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء
الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار

بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير
المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم
النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له
وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن
حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة
لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم
احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن
مالك في كتاب سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب
ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل
كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام
مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا
يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان
او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال
اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف

لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك
وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم
ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا
اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه
انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي رحمه الله فيمن قال في النبي
صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد
رحمه الله بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم
اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في
صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس
يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم برسول الله فعل الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له
ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال اردت برسول الله
صلى الله عليه وسلم العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا
شريكك في قتله وثواب الله تعالى قال حبيب بن ربيع لان ادعاء التأويل
في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزز لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا موقر فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب رحمه الله في عشار
قال لرجل ادّ ما عليك واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت
او جهلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وافتى فقهاء
الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من
استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته
باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده صلى الله عليه وسلم لم يكن قصدا
ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب
سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان
ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة
من هذا الكتاب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم فا
حضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن
بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه
لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان
آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب
في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في

في خاصة نفسه اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب
ابن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه
نقص قتل وليجد دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان
من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل
فان قتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا او تنقصا يجب قتل قائله
لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا
اليه ونبينه بعد ان شاء الله تعالى وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية
الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه
او اذى من عدوه او شدة من زمانه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد
نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه

فصل

في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن القرآن الكريم لعنه الله
لموذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه عليه السلام ولا خلاف في قتل
من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل
فقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال الله تعالى في قاتل
المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال تعالى في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي
في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله

اني يؤذيه فكون اي لعنهم ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين فما دون القتل
من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله ونبيه عليه السلام اشد من
ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله تعالى ان تحبط اعمالكم ولا يحبط
العمل الا الكفر والكافر يقتل وقد قال الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم
يحيك به الله ثم قال تعالى حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير وقال تعالى
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم وقال ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى
قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو
عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال ثنا ابو
الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز
ابن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن عن ابيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي
فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف

الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه
اليه من قتله غيلة دون بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل
ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان
يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح
بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث
آخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا
فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه
من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل
جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة
عليه وقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنه ان عقبة بن ابي معيط
نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بكفرك وافترائك على رسول الله وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم
سبه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يكفيني عدوي فقال الزبير انا
فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا ان امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال
من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب
على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع
ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك

قولا قبيحا فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن
ابي امية امير اليمن لابي بكر الصديق رضي الله عنه ان امراة هنالك
في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ
ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت بها لامرتك بقتلها لان حد النبي ليس
يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنه هجت امراة من خطمة النبي صلى
الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض
فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه
فقتلها فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة
الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل
من المسلمين وحكى القاضي اسماعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه فقلت
يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه لسبه اياك فقال اجلس فليس ذلك
لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف
عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب

فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل رجل مسلم بسب احد من الناس الا رجل سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير
المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية رواه
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء
الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه
او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون
رجع وتاب عن سبه فلم يقتله مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه
كما قدمنا ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا
ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي
وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل
حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع
عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء
والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل على استحلاله لذلك وهو كفر

فهذا كافر بلا خلاف وقال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد
قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه
قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان الحكم
النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة
لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل لعظم قدره وشفوف منزلته على غيره
فصل فان قلت فلم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال
السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي قال ان هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد
اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه
في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول
الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه
في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين
ويقول عليه السلام يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان عليه السلام يداري الكفار والمنافقين

والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم
ما لا يجوز لنا اليوم والصبر عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك
امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف اول
الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله سبحانه على الدين كله
قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح
ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم وغلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته
والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع
والنضر وعقبة وكذلك هدر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى
وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة
وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل
منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا عليه السلام يطمع في فيئتهم
ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم
كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص
سرا كما اخلص جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان

وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمه الله
عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما
نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة
والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا امر اليهود في السلام وانهم لووا به
السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله عنها ولو كان
صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على
فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا
في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم
وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل
المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلهذا تركهم عليه
السلام وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان
كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز
الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب من يتهم بالنفاق
من جملة المؤمنين في صحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو
قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدو منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم
لوجد الشارد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من
صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم

الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة
وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه
السلام لا يتحدث الناس يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم
وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل
وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر
المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن
القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال
معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان
قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها وقال
بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط
في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه
من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال
في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه
من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم

والسأمة الملال وهذا دعاء على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم
البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعض العلماء وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالأذى قال
القاضي أبو الفضل رحمه الله قد قدمنا ان الأذى والسب في حقه عليه السلام
سواء وقال القاضي أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم
قال ولم يذكر في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب
ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل والأولى في هذا كله والأظهر من هذه
الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولهذا
ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتل الخوارج للتألف
ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم
عليه السلام على سحره وسمه وهو أعظم من سبه الى أن نصره الله عليهم وأذن له
في قتل من حينه منهم وانزالهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على
من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين
وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين
وأجلاهم من جوارهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي
العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة
رضي الله عنها أنه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان

ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه ينتقم ممن سبه
أو آذاه أو كذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم
منه فيما يتعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم
يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه
البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بإزاره حتى أثرت في عنقه وكرفع صوت الآخر
عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر
زوجتيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان
أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره وأما غيره من
الناس فيجوز بفعل مباح ما لا يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج
بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله عليه السلام في
حديث فاطمة رضي الله عنها انها بضعة مني يؤذيني ما آذاها ألا واني لا أحرم
ما أحل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة عدو الله عند
رجل أبدا أو يكون هذا مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك اسلامه وكعفوه عن اليهودي
الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقيل قتلها
ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم
واستئلاف غيرهم بهم كما قدمنا قبل وبالله التوفيق **فصل** قال القاضي أبو
الفضل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه بأي وجه كان

من يمكن وما لهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان
والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والازراء
ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه
او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل
ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض
من منصبه او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر
بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عن قصد لرد خبره او يأتي بسفه من القول
او قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد
ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره
اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه
حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله
عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد
لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي رحمه الله فيمن شتم
النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في

في صحوه وايضا فانه لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه
ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله به واتيان ما ينكر منه
فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل
فانصرف لان الخمر حينئذ كانت غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان
حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته
او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا
فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه
بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل عنه
توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب
او غيره وان كان مسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة
عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم
او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال
ان محمدا ليس بنبي ولم يرسل ولم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر
برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من

من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه
يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا وقال اصبغ
وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي
تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب فان تاب والا
قتل ان كان معلنا بذلك وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله
عليه السلام لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة
وقال محمد بن سحنون رحمه الله من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم فهو كافر جاحد وقال من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه
عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اسود قتل وقال نحوه ابو عثمان الحداد ولو قال انه
مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي وقال
حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه
الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة **فصل** الوجه الرابع ان يأتي
من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه
وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد
النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة
الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه
غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين
يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم
وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو
قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه
لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على سب النبي صلى الله عليه وسلم
او شتم الملائكة عليهم السلام ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل
على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه
لمن يصلي عليه الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون
وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل
هذا القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان
ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة
الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم
نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من
المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال

قال وهم بنسل لا يطعن عليهم في الانساب [illegible] ومات [illegible] اولاد ولا ذرية
انتهى النظر في هذا المعنى كلامه وحكى عن ابي الحسن بن زبارة [illegible] قال
ان [illegible] العرب [illegible] وذكر [illegible] والانساب في
اولاد [illegible] على الاولاد [illegible] السلطان وكان
عمر قال [illegible] وقال ابو حمزة [illegible] ولا عقب
له [illegible] انه كان [illegible] وعدم [illegible]
الوجه وان [illegible] رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال [illegible]
في [illegible] كلام [illegible] الناس [illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible] هذا [illegible] من الانبياء [illegible]
[illegible] الى آدم عليه السلام [illegible]
الا [illegible] من الانبياء [illegible]
[illegible] وقال [illegible] هاشم وقال [illegible]
منهم انه قال [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
في [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] قال الرجال [illegible]
الى آدم [illegible] قال القاضي [illegible]
[illegible] قال [illegible]
[illegible] الفقه
[illegible] ابو محمد بن [illegible]
[illegible] ابو عبد الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ابو عبد الله محمد بن [illegible]
[illegible] وقال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فصل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم

وفصله الحزن والتسديد [illegible] كقوله الفؤاد [illegible] آخر [illegible]
النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وكتبت [illegible] الانبياء [illegible]
[illegible] الناس [illegible] القصد [illegible]
[illegible] الكريم [illegible] وقد [illegible] من هذا [illegible]
[illegible] التي [illegible] العزيز [illegible]
من [illegible] في الكلام [illegible] الكلام [illegible]
[illegible] وكان [illegible] هذا البيت
[illegible] الاول [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] وكذلك [illegible] الوحي [illegible]
هو [illegible] الفصل [illegible] البيت [illegible]
الفصل [illegible] السلام [illegible]
الوجه [illegible] الفضل [illegible] الاثر [illegible]
[illegible] الاثر [illegible]
[illegible] الاثر [illegible] العصر [illegible]
حال [illegible] الادب [illegible]
[illegible] كان [illegible]
وانا [illegible] التعريف [illegible]

كثير من الناس [illegible] هذا الباب الفضل [illegible]
وقال [illegible] كلام [illegible]
[illegible] الشعر [illegible]
[illegible] العربي [illegible] كلام [illegible]
والقصص [illegible] الكلام [illegible]
[illegible] قال [illegible]
والابيات [illegible] العربي [illegible]
[illegible] الرسالة [illegible] المصطفى [illegible]
[illegible] الاعتقاد [illegible]
[illegible] كلامه [illegible]
[illegible] العرب [illegible] هذا
[illegible] الفضل [illegible]
[illegible] كلامه [illegible]
[illegible] الشعر [illegible]
[illegible] الشعر [illegible]
وقال [illegible]
وذكر [illegible] الكريم [illegible]

عقوبة ليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي
الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد
جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب
بعبسة فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة
مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه يغضب غضب مالك فيكون اخف
وما كان ينبغي له التعريض بمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج
بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك
ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل
شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي صلى الله عليه
وسلم اميا فشنع عليه مقالته وكفره الناس واشفق مما قال واظهر الندم
عليه فقال ابو الحسن القابسي اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في
استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي اميا آية له وكون هذا
اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه
وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجأ الى الله تعالى فيترك لان قوله
لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف
ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد
ابن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك

وتشبيهه اياه بالنبي عليه السلام متنازع الاحتمال للشبه فاشبه محمدا خلقا
وخلقا كما قد انكر كان وقد انكروا ايضا على الاخر قوله في ممدوحه كيف لا يدني
من امل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفره لان حق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم
في مثل هذا ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا
مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل
عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال
مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب
ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء قبلنا
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال
كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله
فقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله
وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه
مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكا
الله فما الذي اراد اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه
فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة

وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه
باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس
افتى بقتله فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له
عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم
باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم
فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار عليه
والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد
فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض على
قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي
لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم
او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب
على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع
ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة
او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم
فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن
القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه

عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن
لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط
عن الباقين الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير
منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد
سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه
ان لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم
ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه
ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا
في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره
لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح واما الاغراض المتقدمة فمـ
تردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين
عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد
عليه والرد عليهم بما تلاه علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف
من ائمة الهدى من المسلمين على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم
ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن
حنبل رحمه الله انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد بن مثله

فيرده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها
فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات
والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع
وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير
قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة
حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة
اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث
هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سأل مالكا رحمه الله عمن يقول القرآن
مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما
سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل
انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقها ونسبها الى غيره او كانت
تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ
لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه صلى الله عليه وسلم وسبه فحكم هذا حكم الساب
نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية
امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به
النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع

اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته
وقراءته وتركه متى وجد دون محو رحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم
فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته
الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله
من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام
رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب
في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة
في ذم احد بروايته ونشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر عليه السلام

فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف
في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه او يذكر
ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة
ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة معيشته
كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت به العصمة للانبياء
وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا
نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ
لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده
ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره

فقد كره بعض السلف رحمه الله تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه
من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال
عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال
ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله عز وجل بذلك عن موسى عليه السلام
وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد
الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك حكمة بالغة
للانبياء عليهم السلام وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها
لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم
وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته
له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله
تعالى قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته
وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه
من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة
ممالك كثيرة من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين
والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا
اشياع متقدمين لحسب كثير من الناس ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه
ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان

كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحد
علاماته في كتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتب
ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك
اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه
وقاعدة معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح عليه السلام وفضل به من ذلك كما قدمنا في القسم الاول
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها
فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب والامية
في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره
من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من
عداه هذا شق واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات
روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر
ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب
ومهنته وتواضعه نفسه في اموره وخدمته بيته زهدا ورغبة عن الدنيا
وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا

من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن أورد شيئا منها مورده وفصل
بها مقصده كان حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء
قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره عليه السلام
وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي
أمورا لا تليق بهم بحال وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يتحدث
منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد
كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال
ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن
من الفقهاء وليت الناس وافقوه رحمه الله على ترك التحدث بها وساعدوه
على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم جملة أنهم
كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها
على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته
ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء
من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا
نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن
ومنهم من كفر وأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب أن لا يذكر منها شئ

شئ في حق الله تعالى ولا حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام
على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف
بأنها ضعيفة المعاني واهية الإسناد وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك
تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة
عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام
عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس
بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس **فصل** ومما
يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من
حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم
في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه
ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه
من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء
للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب
العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله وأحواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ
وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة
الجهل والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في
القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارات ويتجنب

لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما
علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول
بجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض
الاوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغائر فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز
ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه
السلام وما يجب له من تعزير واعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من
هذا فقبح منه ولم استصوب من عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد
قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر
قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادبهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء
او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام
ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في
تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر
بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور تعظيمه وتوقيره
وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف رضي الله عنهم
تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمنا في القسم الثاني وكان
بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن

ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يتحفظ بها صوته اعظاما
لربه واجلالا له من التشبيه بمن كفر **الباب الثاني** في حكم سابه وشانئه ومنتقصه
ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قال القاضي رحمه الله قد قدمنا
ما هو سب واذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل
ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه
وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك رحمه الله واصحابه وقول السلف وجمهور
العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا يقبل عندهم توبته
ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق و
مسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه
والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه
التوبة كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب
وتاب عنه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد
رحمه الله مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه
القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن
القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على
ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من

من قال اقبل توبته لانه استدل على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه
بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا قول اصبغ ومسئلة
ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم
لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة
كسائر حقوق الآدميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واسحاق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه
عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام
لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه
لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر
رحمه الله محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى
على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس
تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس
تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب
قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين
فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان

فكان كالمرتد يقتل عند ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه
حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من
زنى وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى
يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر
ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع
عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران
القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم
يستتب لان السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على
رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به
من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى
قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما
قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا
وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع
والتوبة عنه فقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق

اذا ظهر عليه وانكر وتاب. فان قيل فكيف تثبتون الكفر عليه وتشهد عليه
بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان
اثبتنا له حكم الكفر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد
والنبوة وبانكاره ما شهد به عليه وزعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية
وانه مقلع عن ذلك ونادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض
الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه
معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذا ان سبه في نفسه كفرا
لتكذيبه وتكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا
لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله وتقدم كفره وامره بعد الى
الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة
واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك
حرمة الله تعالى وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كفرا بلا خلاف فعلى
هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها
واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله
تعالى **فصل** اذا قلنا في الاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في
في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها
فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من

من الصحابة على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره واحد
منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطاء ابن ابي رباح
والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل
واسحاق واصحاب الرأي وذهب طاوس ومحمد بن حسن وعبيد بن عمير و
الحسن في احدى الروايتين عنه لا يستتاب وقاله عبد العزيز ابن ابي سلمة
وذكره عن معاذ رضي الله عنه وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي
عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى
ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله عليه السلام فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء
ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء
على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنه
لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل
النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى
في ذلك سواء واما مدتها فذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه ان يستتاب
ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول
احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس
عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا
وقال مالك ايضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه

كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار وفي تأخيره ثلاثا روايتان
عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا
اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب
فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال
الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى
ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع
كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث
مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة
ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من
الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة
ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده
اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين
ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي
صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك
يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال

وقال اسحاق يقتل في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب يضرب ضربا
وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا
نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك
والكوفيين والشافعي **فصل** هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته
من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه
الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك
ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد
الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه
وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه
من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي
هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم
كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال
وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله
وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في
العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون
وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان
عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال

وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسألة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحهما ما اسقطهما ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد

فصل قال القاضي رحمه الله هذا حكم المسلم فاما الذمي فاذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة والعهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر الآية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم

لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا اهل حرب يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقيصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه عنه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم

فان لا نقبل توبة الكافر ولا قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن
القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم
من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم
في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا
لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال
من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل
ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان
راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى
عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا
موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله واما
ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء
تقوله ونحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير
من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول
اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الوجيع
الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف
فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم و
محمل قوله عندي ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي

في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن
الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه الا ان يسلم وقال محمد بن سحنون فان
قيل فلم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه
قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل
واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى
الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا
ذلك في قول القائل (ابن سحنون) كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما
لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن
القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على انه خلاف
ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني
قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش
يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو
المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا
مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة فهو
الآن في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح

استراح منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم
فيها بشيء ثم رأيت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى للامام ان يحرقه بالنار حيا
اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة
قال فأمرني مالك فكتبت بان يقتل وتضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار وان شاء قتله ثم حرق وان شاء احرقه بالنار فقال انه
لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه
ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في
جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية و
نبوة عيسى وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول اسلامها و درء
القتل قال به غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم
ابن الجلاب في كتابه من سب الله تعالى ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب
وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه باسلامه
وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي
باسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه

وان شاء قتله ثم حرق جثته
وان شاء احرقه بالنار
حيا

عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين **فصل**
في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه
اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون
الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه
كفر الزنديق وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك
وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال ابو الحسن القابسي رحمه الله ان قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في
ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث
في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه
فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن
وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن رحمه الله
في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع
وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله
ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن
اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين
ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ قتل

على ذلك ومات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله وانما يختلف في
ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف
انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله ثم مات ولم تعدل عليه بينة ولم
تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب
برسول الله صلى الله عليه وسلم او علن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه
للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته قال
ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي
طالب وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز
والحكم والاوزاعي والليث واسحاق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين قال
القاضي رحمه الله وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه بين حسن وهو على رأي
اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة
ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك
او اظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر
للاسلام بانكاره وتوبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروى نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه
لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله

وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم
في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وانكر
حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة
الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث
لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى
قوله واختصاره والله الموفق للصواب **الباب الثالث** في حكم من سب الله تعالى
وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه قال
القاضي رحمه الله لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم و
اختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وكتاب ابن سحنون ومحمد ورواه
ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم
يستتب الا ان يكون افترى على الله سبحانه بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب
وان لم يظهره لم يستتب وقاله في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال
المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب
وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من
الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي بن نصر عن المذهب
وافتى ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله فيما حكى عنه القاضي بن نصر عن المذهب

في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني
فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور
واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان
ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله
من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى
ابرهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير الله تعالى وتظلم منه
والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين بن عاصم
وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل
في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال
في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله
فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان
المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار
الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا
يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من
دين الى دين اخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد علم انه خلع ربقة الاسلام
من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب
اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في

في فصوله **فصل** واما اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق
السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطأ
المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا
مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك
واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان
تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك
القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى
يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ
وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون
في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز
وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى
عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف
الجماعة من اهل البدع والتحريف لكتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك
او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم
في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم
عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم
مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن

القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى عليه السلام تكليما استتيب فان تاب والا
قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية
والمرجية وقد روى ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلف
الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد
الطاهري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال
الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار
وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شي من جسده بيد او سمع
او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه وقد قال فيمن قال
القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا
ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال
القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ايمة العراقيين
من اصحابنا جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله
في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدرية و
اكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروي
عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص
بن غياث وابو اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول
اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل

واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روى عنه معنى
القول الاخر بتكفير علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة
من الفقهاء والنظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين
ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية
وسائر البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما
قال في المحارب ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو
في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين وهذا
من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة والله الموفق للصواب **فصل**
في تحقيق القول في اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اهل
البدع والاهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه
لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك
فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم
من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال
ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على

على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك منهم المغيرة وابن كنانة و
اشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون
ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه
عن اعادة الصلاة خلفهم منه والى نحو هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل
التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما
قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول امامه
مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل
مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في مواريثهم على
الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورث
هم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول
شيخه ابي الحسن الاشعري رحمه الله واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة
وهو الجهل بوجود الباري وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض
من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله
في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بان الغلط
فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال
غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان
استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون

اهون من الخطا في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام
فاذا قالوها يعني الشهادة فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها
الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة
في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا
سهم لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك
في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب
الآخر عنها فانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على
طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في
الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين
فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله عليه السلام في الخوارج هم من
شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم
او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما
مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول الآخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم
على المسلمين وبغيهم عليهم ودليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام
فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل
من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه

يارسول الله فقال لعله يصلي فان احتج بقوله عليه السلام يقرؤن القرآن
لايجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل في قلوبهم وكذلك قوله عليه
السلام يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لايعودون اليه حتى يعود
السهم على فوقه وكذلك قوله سبق الفرث والدم يدل على انهم لم يتعلقوا من الاسلام
بشيء اجاب الاخرون ان معنى لايجاوز حناجرهم لايفهمون معانيه بقلوبهم ولا
تنشرح له صدورهم ولاتعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق
وهذا يقتضي التشكك في حاله وان احتج بقول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة
ولم يقل منها وتحرير ابي سعيد رضي الله عنه الرواية واتقان اللفظ
اجابهم الاخرون بان العبارة بفي لاتقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف
لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي
ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون في
امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على
ادخالهم في الامة بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ماشاء في التنبيه
الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني و
استنباطها من الالفاظ وتحريرها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة
لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها

اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لايكفر احد بغير
ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه
وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا
يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل
وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا
الباب ففاسق الا ان يكون ممن لايعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب
عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين
فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه
على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما
الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود
الاصفهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله
استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول
الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى
واليهود لاحجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي
قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من
لم يكفر احدا من اليهود والنصارى وكل من فارق دين المسلمين او وقف في
تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن

فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف وشك فيه والتكذيب
والشك فيه لا يقع الا من كافر **فصل** في بيان ما هو من المقالات كفر وما
يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل
وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في
هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله
او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية
والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار
او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم
ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه
اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او
والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره
او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين
كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله
والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة
والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم

العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او
قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الآباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها
فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه
جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او
احدا من الانبياء الذين نص الله تعالى عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب
كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض
الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية
والعنبرية من الروافض وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم
وكذلك كل من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها
فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة
واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من
الاخبار عما كان ويكون من امور الآخرة والقيامة والحشر والجنة والنار
ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على
جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال
الشرع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك
من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبره او شك في صدقه

او سبه او قال انه لم يبلغ واستخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم
او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب
بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير
والدواب ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى
ان توصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا
المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر
من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن
قال اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان
وصفه عليه السلام بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى
نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او ادعى نبوة او بعده كالعيسوية من اليهود
القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل و
كاكثر الروافض القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية
والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة
لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة
وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة وانه يصعد الى السماء و
يدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين وانه ارسل
كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد
دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها اجماعا وسمعا
وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او نص حديث مجمع على نقله
مقطوعا به مجمع على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر
من لم يكفر من دان بغير ملة الاسلام من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم
وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما
اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل
الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الروافض بتكفير جميع الامة
بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب
حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله
اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم
النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله عنه وهو
يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله محمد وآله وكذ
وكذلك نكفر بفعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا
بالاسلام مع فعله كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى

الى الكنايس والبيع مع اهلها والتزيى بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس فقد
اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر
وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل
او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة
وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من
قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم
ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات او عدد ركعاتها
وسجداتها ويقال انما اوجب الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا
وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص جلي والخبر عن
الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من
الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء
رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول
بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم
الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر
مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة
والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي

ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا
ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين
وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد باسلام فيقال له سبيلك ان
تسئل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة
عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك
وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا وطافوا بها وان تلك
الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وان صفات الصلوة المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه
وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع
لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين
كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر
عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة
الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وفعله وتفسير مراد الله تعالى به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون
لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كله ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن
او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم

انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب
ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بهذا القول وكذلك نكفرهما بانكارهما
ان يكون في سائر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات
والارض دليل على الله سبحانه وتعالى لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا
مما نص فيه بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل
عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فيكفر بالطريقين المتقدمين لانه
مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة والنار
والبعث والحساب والقيامة فهو كافر باجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك
اقول فيمن اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب
والعقاب معنى غير ظاهره وانها هي لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى
والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة الموت
او انتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع
بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف
بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى

الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي
بكر او عمر او عثمان وخلافة علي رضي الله عنهم بالنقل ضرورة وليس في انكاره
جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكاره وقوع العلم به اذ
ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة
علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين
اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار
في هذا الباب قالوا بتكفير من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الا
الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من
بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع
وذهب آخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص
بنقله العلماء وذهب آخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر
كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجا
فاحتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله
هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا رأي
الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله سبحانه ورسوله صلى

صلى الله عليه وسلم او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر ويقوم دليل على
ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون
الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول
قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود
للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنانير وزي اصحابها في اعيادهم او يكون
ذلك القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم
يكونا جهلا بالله فهما علم ان الذي فعلهما كافر منسلخ من الدين فاما من نفى
صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس
بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة
له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه
عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر
المتأولين كما قدمنا فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء
هاهنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن
الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع
الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا
وانما يكفر من اعتقد ان مقالته حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء ان النبي
صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله

قدر الله علي وفي رواية لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس
عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخرون عن هذا
الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه
بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع
عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول
او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها
وقيل انما قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى
عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن
الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته
الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله
تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن
لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه
اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا
يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا
عند هذا سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير
اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا

على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه
لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصّلناه فعلى
هذين المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذ فهمته اتضح لك الموجب
لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم
بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم
ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم
في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما أزاحوا
لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل
على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة
ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي
أبو بكر رحمه الله وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق
الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار المتأولين
فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار
من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في
هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى فصل هذا حكم المسلم السابّ لله تعالى وأما

وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في ذمي تناول من حرمة الله
تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب
وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن
سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر قتل
ولم يستتب قال ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوطة طوعا قال أصبغ لأن الوجه
الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد
وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم
في كتاب محمد من شتم من غير أهل الأديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه
قتل إلا أن يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى
يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل
قول مالك وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله بغير الوجه الذي به كفر قتل
إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة و
شيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي به
كفرت لله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك وهو نحو قول الأول
فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين
سب الله تعالى وسب نبيه لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا شيئا
من كفرهم ولا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم و

واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم
وأصبغ لا يقتل لأنه دين لا يقر عليه أحد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب
وما أعلم من قاله غيره **فصل** هذا حكم من صرح بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله
وإلهيته فأما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة
أو النافي أن يكون الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من
ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا اختلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة
عقوله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من
القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون
ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه
وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي
لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي وأما
المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية
فلا نظر فيه وما فعله منه في حال تمييزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه
أدب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف
عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه
من ادعى له الإلهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك
غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم

فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر بالله
من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه
الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج
بعد هذا أيام الراضي بالله وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي
وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد
أن الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب
ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد
وقاله سحنون وغيره وقال أشهب في يهودي تنبأ أو ادعى أنه رسول إلينا إن كان
معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله
فيمن لعن بارئه وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره
وهذا على القول الآخر في أنه لا يقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران
قال أنا الله إن صحا تاب أدب وإن عاد مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لأن هذا
كفر المتلاعبين **فصل** وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط
كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه أو تمثل
بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا
يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن

فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه
وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده
يوجب الاستخفاف والتنقيص لربه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل
من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه
المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب
الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه
وأشاروا أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن
زياد فقال ابن حبيب رحمه الله دمه في عنقي أيشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له إنا
إذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم
الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء
فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل
وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة
ووبخ بقية الفقهاء وسبهم وأما من صدرت منه في ذلك الهنة الواحدة
والفلتة الشاردة ما لم تكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر
مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها
وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك
قال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل

أبو الفضل رحمه الله وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر والسفيه
يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد
أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة
فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص
مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول وأما
ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب رب العباد ما لنا
وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا أنزل علينا الغيث لا أبا لكا في أشباه لهذا
من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر
إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله قال أبو سليمان
الخطابي رحمه الله وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الأمور وقد روي
عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول
أخزى الله الكلب وفعل به كذا قال وكان بعض من أدركنا من شيوخنا قلما يذكر
اسم الله عز وجل إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للإنسان جزيت خيرا وقل
ما يقول جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة والثقة أن الإمام
أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته
إجلالا لاسمه تعالى هؤلاء يتمندلون بالله تعالى وينزل الكلام في هذا الباب
تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناه والله الموفق

فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم
فيما أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمنا
قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض الآية وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم
الآية إلى قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم وقال كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا نفرق بين أحد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال
ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء
أو أحدا منهم أو تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم
وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفر فاضرب عنقه إلا أن يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل و
قال القاضي بقرطبة سعيد بن عبد الرحمن في بعض أجوبته من سب الله وملائكته قتل
وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن
قال إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب
استتيب فإن تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم كان النبي أشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال أبو حنيفة وأصحابه
على أصلهم من كذب بأحد من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منه فهو مرتد
وقال أبو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف أنه

أو عرف أنه قصد ذم الملك قتل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذا
كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين أو من نص الله تعالى عليه
في كتابه أو حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع
كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل وإسرافيل
ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فأما
من لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء
كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم
وآسية وخالد بن سنان المذكور أنه نبي أهل الرس وزرادشت الذي تدعي
المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمنا
إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال
المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وإن لم تثبت نبوته و
وأما إنكار نبوتهم أو إنكار كون الآخر من الملائكة فإن كان في ذلك من أهل
العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وإن كان من عوام الناس زجر عن خوضه
في مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف رحمهم الله
الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف للعامة **فصل** واعلم
أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفا منه

او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر
او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو
كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام
ابن احمد رحمه الله قال حدثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن
ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن
عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد
حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها
او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو
في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه
حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا
لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك رحمه الله قتل من سب عائشة رضي الله عنها

عنها بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه
وقال ابن القاسم رحمه الله من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله
عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه
قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما
وشهد آخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا على تكذيب النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان ابن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون
ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس
كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر
بحرف منه فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله صح
به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي
عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه
بذلك شاهدان ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود
فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل
التأويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم
ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء
بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة القراء المتصدرين بها مع ابن

مع ابن مجاهد لقرائة واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف و
عقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه
في مجلس الوزير علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن افتى
عليه بذلك ابو بكر الابهري رحمه الله وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب
فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد
القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل وسب النبي صلى
الله عليه وسلم واهل بيته وازواجه واصحابه رضي الله عنهم وتنقصهم حرام
ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا
الترمذي ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رائطة عن
عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد
آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فانه يجيء اقوام في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا

فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا
فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي
صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام
فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال عليه السلام لا تؤذوني
في عائشة وقال في فاطمة رضي الله عنها هي بضعة مني يؤذيني ما اذاها
ومن شتم الصحابة ادب
وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع
قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم احدا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو
ابن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من
مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة
الى بغض عثمان رضي الله عنه والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد
الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه
ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه
وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا
او عثمان او غيرهما رضي الله عنهم يوجع ضربا وحكى ابو محمد ابن ابي زيد
عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم كانوا
على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال

الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر رضي الله عنه جلد ومن شتم عائشة
رضي الله عنها قتل قيل لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان
رضي الله عنه عن مالك لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر ابن الطيب رحمه الله قال ان الله تعالى اذا ذكر
في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة رضي الله عنها
فقال تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك فسبح
نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه عز وجل في تنزيهه من السوء وهذا
يشهد لقول مالك رحمه الله في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله اعلم ان
الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه تعالى وكان سبها سبا لنبيه صلى
الله عليه وسلم وقرن سب نبيه سبه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه
تعالى القتل كان حكم موذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قدمناه وشتم
رجل عائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال
من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه الى الحجامين
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر
اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا

لا يشتم احدا بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان
له صحبة لكفيتكموه قال مالك رضي الله عنه من انتقص احدا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة
اصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين الآية ثم قال تعالى والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم الآية وهؤلاء الانصار ثم قال تعالى والذين جاؤا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فمن تنقصهم
فلا حق لهم في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية
وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله
كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه السلام من سب اصحابي
فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان
كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام من المسلمين
كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء
بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به
قال ومن سب غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما
انه يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والآخر انها كسائر الصحابة
يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من سب من انتسب

الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم بضربه ضرباً وجيعاً وتشهيره ويحبس طويلاً
حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق النبى صلى الله عليه وسلم وافتى ابو
المطرف الشعبى فقيه مالقة فى رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت
بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض
المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابى بكر فى مثل هذا
يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذى صوب قوله هو احق
باسم الفسق من اسم الفقيه فيتقدم اليه فى ذلك ويزجر فى ذلك ولا تقبل
فتواه ولا شهادته وهى جرحة ثابتة فيه ويبغض فى الله تعالى قال القاضى
ابو الفضل رحمه الله هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذى
انتحيناه واستوفى الشرط الذى شرطناه مما ارجو ان فى كل قسم منه للمريد
مقنع وفى كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب
وتستبدع وكرعت فى مشارب من التحقيق لم يورد لها فى اكثر التصانيف
مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلى الكلام فيه
او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفى بما ارويه عنه والى الله
تعالى جزيل الضراعة فى المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين
وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف
مصطفاه وامين وحيه واسهرنا فيه جفوننا لتتبع فضائله واعملنا

واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصايصه ووسائله ويحمى اعراضنا عن
ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل
عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سبباً يصلنا
باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً
نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته
ويحشرنا فى الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده
تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه
وفهم ونستعيذه جل من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو
الجواد الذى لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيراً دائما الى يوم الدين
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

اللهم اشكر سعيه وعمله وبلغه ما رجاه عندك وامله واجعلنا ممن
شملته دعوته ونطوق على ما قلده من لوازم حقوق نبيك صلى الله عليه
وسلم منته واجعل اللهم ذلك ذخيرة لنا وله تتحفنا به عند الكروع من
حوضه ونغفر بها ما قصرنا فيه من اداء سننه وفرضه ومتعنا اللهم
بالنظر الى وجهه الكريم يوم القيمة يوم يلتقى من عصاه وخالف امر الندامة

وانفع بذلك اباءنا ومن سلف لنا واخواننا وذرّيتنا والمسلمين اجمعين
يا ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلّم
تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله
ربّ العالمين
م